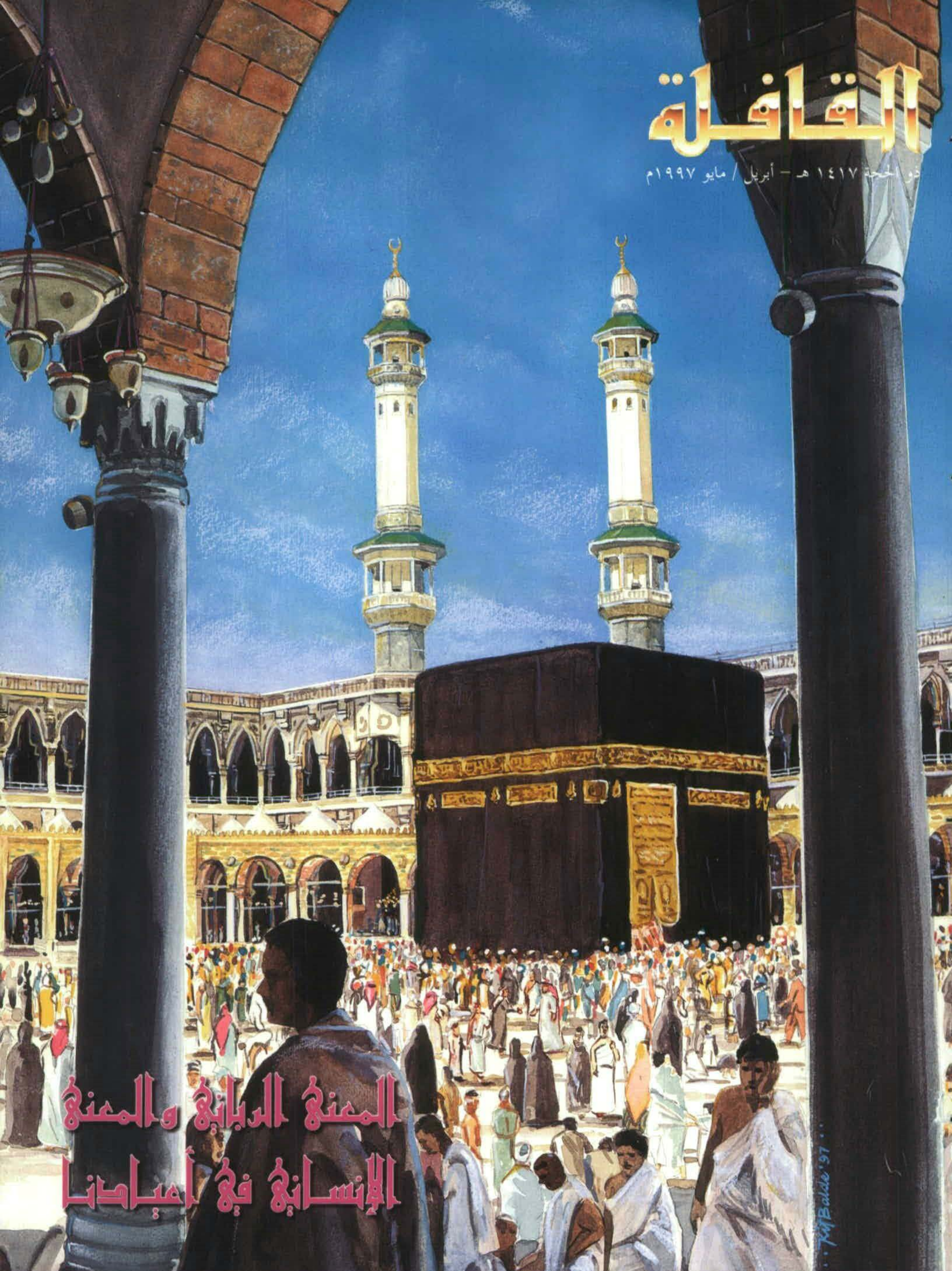

القافلة
ذو الحجة ١٤١٧ هـ - أبريل / مايو ١٩٩٧م
المعنى الرباني والمعنى
الإنساني في أعيادنا

بسم الله الرحمن الرحيم



القافلة
AL - QAFILAH

April - May 1997

ذو الحجة ١٤١٧ هـ – العدد الثاني عشر – المجلد الخامس والأربعون

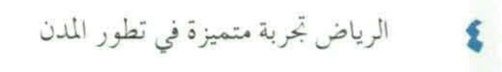
ردمد ISSN 1319 - 0547

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة أرامكو السعودية لموظفيها .. توزع مجاناً



٤







١٨







٢٤



٣٦

المدير العام :
سالـم سعيـد آل عـائـض

المدير المسؤول :
محمد عبد الحميد طحلاوي

رئيس التحرير :
عبد اللّـه خالـد الخـالـد

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبر بالضـرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- لايجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير.
- لاتقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها.

العنوان
أرامكو السعودية
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٨٧٣٠٤٨١
فاكس : ٨٧٣٣٣٣٦

تصميم وطباعة مطابع التريكي – الدمام
Designed and Printed by Altraiki Printing Press, Dammam

عيد مُبارك

إنه لمن دواعي غبطتي أن أغتنم فرصة حُلول عيد الأضحى المبارك لأقدم لإخواني المسلمين من موظفي الشركة وأفراد عائلاتهم أخلص التهاني وأطيب التمنيّات ضارعاً إلى المولى القدير أن يُعيده عليهم جميعاً بالخير والبركات

وكُل عام وأنتم بخير

عبد الله صالح جمعة

رئيس الشركة وكبير الإداريين التنفيذيين

كلّ عامٍ وأنتم بخير

يطيب لهيئة تحرير القافلة أن تنتهز هذه الفرصة السعيدة لترفع إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين وإلى حجاج بيت الله الحرام وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإلى قرائها الكرام أخلص التهاني وأسمى الأماني داعية الباري جل وعلا أن يُعيد أمثاله عليهم بالخير واليمن والبركات

هيئة التحرير

المعنى الرباني والمعنى الإنساني في أعيادنا

بقلم : أ. د. يوسف القرضاوي/قطر

الأعياد في حياة الأمم أشبه بواحات للاستراحة والنزهة في رحلة الحياة الشاقة الطويلة ، ولا نعرف أمة خلت حياتها من أعياد تحتفل بها ، وتفرح وتمرح فيها . وترتبط الأعياد عند الأمم بمناسبات مختلفة ، بعضها ديني ، وهو الأغلب ، وبعضها دنيوي ، كتتويج صاحب سلطان ، أو انتصار في معركة وطنية أو نحو ذلك .

وقد شرع الإسلام لنا عيدين لا ثالث لهما ، بديلين ليومين كانا في الجاهلية ، كما قال أنس رضي الله عنه : « كان لنا يومان في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما : يوم الفطر ، ويوم الأضحى » .

وإبدال الطيب بالخبيث ، والحسن بالقبيح ، هو سنة الرسل عامة ، ورسول الإسلام خاصة . ولا يمنع إله الناس شيئاً إلا عوضهم ما هو خير منه .

لقد عرف الإسلام طبيعة البشر وحاجتهم إلى ترويح الأنفس ، وتغيير النمط الرتيب في الحياة ، فشرع للمسلمين هذين العيدين ، ليكون كل منهما يوم فرح وبهجة ولهو بريء . ولاغرو أن أذن الرسول ﷺ لجاريتين أن تغنيا في بيته عند عائشة في يوم عيد ، فعن عائشة أم المؤمنين أن أبابكر دخل عليها ، وعندها جاريتان – في أيام منى – تغنيان وتضربان. ورسول الله ﷺ مُسَجًّى بثوبه. فانتهرهما أبوبكر رضي الله عنه ، فكشف رسول الله ﷺ عنه. وقال : « دعهما يا أبابكر ، فإنها أيام عيد »، وفي رواية: «إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا».

وأكثر منه أنه سمح للحبشة أن يلعبوا بسلاحهم في مسجده ﷺ ، وكان يشجعهم ويقول : دونكم يا بني أرفدة . قالت عائشة: وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق (التروس) والحراب . وقالت : « لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله وهو يسترني بردائه، لكي أنظر إلى لعبهم» .

وعن أبي هريرة قال : بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم ، إذ دخل عمر، فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال له رسول الله ﷺ « دعهم يا عمر » .

وهذه كلها أحاديث صحاح متفق عليها. ومما علل به النبي ﷺ الترخيص باللهو واللعب في هذه المناسبات الطيبة قوله : «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني بعثت بحنيفية سمحة» رواه أحمد .

من مزايا أعيادنا :

ولكن أعيادنا الإسلامية ارتبطت بقيم ومعان لا توجد في أعياد الأمم الأخرى ، فقد رأينا بعض الأعياد الدينية عند بعض الأمم الأخرى، ترتبط بالتحرر من الالتزام الديني، والاستمساك بعروة التقوى ومكارم الأخلاق ، وكأن العيد فرصة لاتباع الشهوات ، والعبّ من الملذات ، والسير في ركاب الشيطان . ولا يخفى على أحد ما يحدث من تجاوزات ليلة رأس السنة الميلادية.

المعنى الرباني في أعيادنا :

يتجلى في أعيادنا – أو عيدينا – معنيان كبيران أساسيان ، هما : المعنى الرباني والمعنى الإنساني .

أما المعنى الرباني فيتضح في جملة صور :

أولاً : أن كل عيد من عيدينا مقترن بشعيرة من الشعائر الكبرى ، وبأداء فريضة من الفرائض العظمى في الدين ، فعيد الفطر مقترن بعبادة صيام رمضان ، وعيد الأضحى مقترن بعبادة الحج . وكلاهما ركن من الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام . وكأن العيد يأتي (جائزة) أو مكافأة من الله تعالى لهم على إقامة هاتين الشعيرتين . وقد سمى القرآن يوم الأضحى « يوم الحج الأكبر» لما فيه من جملة كبيرة من أعمال الحج ، مثل رمي جمرة العقبة ، والطواف بالبيت الحرام ، وهو طواف الإفاضة الذي هو ركن الحج ، والحلق والتقصير ، وذبح الهدي .

ثانياً : أن من شعائر العيد في الإسلام (التكبير) كما جاء في الأثر : « زينوا أعيادكم بالتكبير » ، وكما جاء في ختام آية الصيام

«وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (سورة البقرة : ١٨٥) .

فلا يهتف في العيد باسم ملك ولا أمير ولا رئيس ، بل يهتف باسم الله وحده « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد » .

ثالثاً : مما يميز العيد عند المسلمين : الصلاة التي شرعها الله بهذه المناسبة ، واعتبرها العلماء فرض كفاية في كل بلد ، بل في كل حي ، لأنها من شعائر الإسلام الظاهرة ، فلو تواطأ أهل بلد على تركها ، لأثموا جميعاً ، وعلى إمام المسلمين أن يقاتلهم ، حتى يقيموا هذه الشعيرة ، كما لو تركوا الأذان ونحوه من شعائر الإسلام . وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى في سورة الأعلى : « قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ » إنها في صلاة عيد الفطر .

كما قالوا في قوله تعالى في سورة الكوثر : « إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ » إن الصلاة فيها هي صلاة عيد الأضحى .

والمجتمع كله مدعو لإقامة هذه الصلاة ، تقرباً إلى الله تعالى في هذا اليوم ، ولاستماع الخطبة والموعظة بعد الصلاة ، حتى النساء والأطفال المميزون يشهدون هذا المهرجان الإسلامي الكبير ، كما روت أم عطية قالت : « أَمَرَنا (تعني النبي ﷺ) أن نُخرجَ في العيدين العواتق وذوات الخدور . وأَمَرَ الحُيَّضَ أن يعتزلْن مصلَّى المسلمين » . متفق عليه . وهذه سنة هجرها أكثر المسلمين للأسف ، فصلاة العيد الآن تكاد تكون مقصورة على الرجال مع تشديد الرسول الكريم في خروج النساء إليها وحثه عليها . حتى قالت له إحدى النساء : يا رسول الله ، أعلى إحدانا بأس – إذا لم يكن لها جلباب – أن لا تخرج ؟ فقال : لتلبسها صاحبتها من جلبابها . فليشهدن الخير ودعوة المسلمين » . رواه البخاري وغيره .

المعنى الإنساني في أعيادنا :

وبجوار هذا المعنى الرباني البارز ، نجد «المعنى الإنساني» في العيد جلياً كل الجلاء .

زكاة الفطر في عيد الفطر :

نجد هذا في عيد الفطر فيما فرضه رسول الله ﷺ من زكاة الفطر . فقد فرضها – كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما – طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين ، فلها هدفان واضحان : أحدهما يتعلق بتطهير مخرجها ، والثاني يتعلق بالفقراء والمساكين في المجتمع ، فقد أوجبها طعمة أو إسعافاً لهم في هذا اليوم الكريم ، حتى لايلجأوا إلى الطواف على الناس يسألونهم العون . فأوجب الإسلام على الواجدين أن يسألوا هم عن المحرومين ، ويطوفوا هم عليهم حتى يغنوهم في هذا اليوم .

الأضحية في عيد النحر :

ونجد في عيد الأضحى ما شرعه الإسلام من الأضحية . كما قال الله تعالى : « فصل لربك وانحر » ، وكما سنّ رسول الله ﷺ الأضحية في يوم العيد وأيام النحر من الابل والبقر والغنم . الشاة عن الرجل وأهل بيته ، والناقة والبقرة عن سبعة . وقد ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين . كما ضحى بالبقر عن نسائه .

ولذا ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأضحية سنة .

ورأى الإمام أبوحنيفة : أن الأضحية واجبة على أهل اليسار من المسلمين . كما جاء في حديث أبي هريرة « من كان له سعة لأن يضحي ، فلم يضح فلا يقربن مصلانا » روي مرفوعاً وموقوفاً .

والسنة في الأضحية : أن تكون بعد صلاة العيد ، فقد روى البراء عنه عليه الصلاة والسلام : « إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا : أن نصلي ، ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك ، فقد أصاب سنتنا ، ومن نحر قبل الصلاة ، فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ليس من النسك في شيء » متفق عليه .

وإنما شرعت الأضحية ليوسع المسلم على نفسه وأهله وجيرانه ، وعلى الفقراء وذوي الحاجة من حوله ، في أيام العيد .

وحكمة الإسلام في شرعية صدقة الفطر في عيد الفطر ، والأضحية في عيد الأضحى : أن تعم الفرحة بالعيد كل الناس ، موسرين ومعسرين ، واجدين ومحرومين ، فلا يكون العيد مصدر سرور وابتهاج لمن يملك المال والقدرة ، ومصدر غم وكرب على من لا يجد المال واليسار .

العيد يوم سلام :

ومن المعاني الإنسانية في يوم العيد : أنه يوم سلام للناس ، لا مجال فيه لحمل السلاح ، ولا لقتال ، بل هو يوم صفاء وتواصل ومسالمة .

وقد أصاب ابن عمر رضي الله عنهما في أحد الأعياد جراحة في قدمه من سلاح كان يحمله أحد رجال الحجّاج في الحرم ، روى البخاري عن سعيد بن جبير قال : كنت مع ابن عمر ، حين أصابه سنان الرمح في أخمص قدمه ... فنزعتها (يعني حديدة السنان) وذلك بمنى ، فبلغ الحجّاج فجعل يعوده ، فقال الحجّاج : لو نعلم من أصابك ! فقال ابن عمر : أنت أصبتني ! قال : وكيف؟ قال : حملت السلاح في يوم لم يكن يحمل فيه ! ، وأدخلت السلاح الحرم ، ولم يكن السلاح يدخل الحرم !

وهكذا تتعانق المعاني الربانية والمعاني الإنسانية في أعيادنا نحن المسلمين ، فالمعاني الربانية تقوم على توثيق صلة الإنسان بربه وخالقه ، والمعاني الإنسانية تقوم على توثيق صلة الإنسان بأخيه الإنسان . وبهذه وتلك يرتقي الناس ويسعدون . ■

الريــاض

تجربة متميزة في تطور المدن

بقلم: معالي الأستاذ عبدالله العلي النعيم

عندما نتحدث عن مدينة الرياض وتجربة بنائها منذ كانت مدينة صغيرة، تحيطها الصحراء من كل جانب بهدوئها ووحشتها وشاعريتها، وما مرت به من أحداث، حتى استقر بها الوضع عاصمة رائعة لمملكة عظيمة، فإننا نتحدث عن تجربة رائدة في بناء المدن في عصرنا الحاضر. فقد زاوجت هذه المدينة بين التحديث والتطوير من جهة، والحفاظ على الأصالة والتقاليد والعراقة من جهة أخرى. كما استطاعت أن تواجه تحديات النمو السكاني والاقتصادي والاجتماعي المتسارع.



تضاعف عدد سكان مدينة الرياض في سنوات معدودة إلى ما يربو على مليوني نسمة، ثم أصبح أكثر من ثلاثة ملايين نسمة حالياً.

وإذا كان بناء وتطوير المدن الكبيرة يستغرف عشرات أو مئات السنين، فإن تطوير مدينة الرياض لم يتجاوز العقدين. وبهذا حققت رقماً قياسياً في تاريخ بناء وتطوير المدن العالمية، واحتلت بموقعها الجغرافي المتميز، في قلب شبه الجزيرة العربية، كملتقى للقوافل العابرة منذ القدم، ومنطلق الطرق البرية والجوية في وقتنا الحاضر، مكانة مرموقة، فأصبحت منارة للإشعاع الحضاري، لما يحيط بها من قريب أو بعيد، ومثالا ناجحاً لحركة التنمية التخطيطية والعمرانية والاقتصادية والاجتماعية.

دخلت الرياض طور التنظيم المدني المعاصر من خلال حفاظها على تراثها العريق المستمد من مرتكزين أساسيين هما: التمسك بمعطيات الدين الإسلامي، عقيدة وشريعة وفكراً، واحتلالها قلب جزيرة العرب، واستطاعت التوفيق بين التخطيط المدني المعاصر والحرص على التمسك بالتراث في هذا المحيط الصحراوي الجاف.

لقد كانت الوسيلة المثلى في حسن إدارة المدينة وإعمارها، وماتزال، تعتمد على الدراسات المتعمقة والدقيقة في التخطيط والتنظيم والاستفادة من الطاقات البشرية المنظمة والمتخصصة، والحماس الذى يملأ قلوب القائمين على العمل... ولعل أهم مايميز التجربة الفريدة التي خاضتها الرياض، في غمرة تطورها وازدهارها، يكمن في النقاط الأساسية التالية:

اللامركزية:

يراجع إدارة المدينة، أعداد كبيرة من الناس، ولم يكن جهاز الأمانة كافياً لحل كل الأمور وتلبية رغبات الناس، بالإضافة إلى أن حركة السير داخل المدينة لم تكن جيدة، والطرق المؤدية إلى وسطها لم تكن كافية أيضا. وقد تم الاتفاق على توزيع أعباء الخدمات البلدية في المدينة، جغرافيا، على عدد من البلديات الفرعية، بلغت حاليا ست عشرة بلدية، وأصبحت تجربة اللامركزية غنية ومفيدة، وطبقت في مدينة الرياض بما يلائم أوضاعها وتطورها السريع، واتساع رقعتها الجغرافية لتتجاوز حاليا ١٦٠٠ كيلو متر مربع. ومع ذلك فلابد من



تعد مدينة الرياض مثالاً ناجحاً لحركة التنمية العمرانية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة.

المركزية في بعض الأمور لرسم السياسات العامة، وضمان التناسق ووحدة الإيقاع، وتكامل الصورة الشاملة، وهذا ما اتبعته أمانة مدينة الرياض.

وكما هو معلوم فإن اللامركزية تطبق في كثير من المدن الكبرى بطريقة أو بأخرى، كما هو الحال في باريس أو لندن أو غيرهما. ولقد طبقت تجربة مدينة الرياض في مدن سعودية أخرى، وفي مدن عربية وصديقة.

ومن جانب آخر، بنت أمانة مدينة الرياض علاقات واسعة مع كثير من المدن الكبرى في العالم، لتحديث التجربة والاستفادة من كل جديد، ولتفادي كثير من المشكلات التي تواجه بعض المدن الكبري مثل الاختناقات المرورية، وعدم توفر المرافق الأساسية، والضغط على الخدمات.

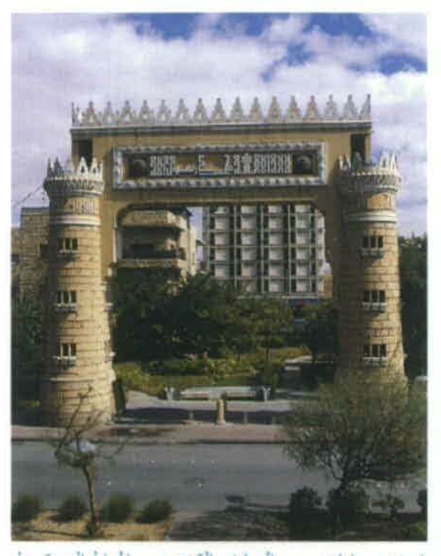
وعمدت الأمانة إلى الأخذ بنظام اللامركزية داخل جهازها الإداري، بحيث وزعت الاختصاصات توزيعا دقيقاً بين الوكلاء والمديرين العامين، وأُعطيت لهم صلاحية التصرف فيما يختص بإداراتهم، والبت في كثير من الأمور.

ومنذ إنشاء البلديات الفرعية تقرر أن يجتمع مجلس رؤساء البلديات برئاسة الأمين لاستعراض ما يوجد من اقتراحات ومشروعات أنظمة أو قوانين، وعرض ما يواجه تلك البلديات من مشكلات، وإيجاد الحلول لها. ويدعى لهذا الاجتماع الدوري رؤساء أو مندوبو المصالح التي لها ارتباط بالأمانة وأعمالها، لمناقشة موضوعات الأعمال ذات العلاقة بهذه المصالح.

ومن أجل إحكام الرقابة والمتابعة شجعت الأمانة أشخاصاً متطوعين ومتحمسين لمساعدة الأمانة، فأنشأت مايسمى «بالمراقب المتعاون» على أن يتم اختيار هؤلاء اختياراً دقيقا ممن يتوسم فيهم الخير والصلاح. وقد أدت هذه الفكرة خدمة جليلة في كشف المخالفين سواء فيما يتعلق بمخالفات البناء والنظافة أو عدم المحافظة على الأشجار في الأماكن العامة.

النظافة:

تعد النظافة والتخلص من النفايات مشكلة كبرى تواجه المدن الكبيرة، بعد أن توسعت وكثرت مخلفات المنازل والمتاجر وغيرها، فكيف بمدينة مثل مدينة الرياض، تقع في قلب الصحراء، وتنقل إليها الرياح الأتربة من كل اتجاه. كما أن حركة البناء والتعمير تجري فيها بسرعة فائقة. ولقد اتبعت الأمانة في تطوير هذه الخدمة الحيوية، في البداية، عدة أساليب منها: مضاعفة جهد عمال الأمانة وتشجيع القائمين على النظافة، ونشر التوعية بأهمية النظافة من خلال المدرسة والمسجد ووسائل الإعلام،



إحدى بوابات سور الرياض القديم، من المعالم التي تربط الماضي بالحاضر.



برج محطة تلفزيون المملكة العربية السعودية بالرياض.

والاستعانة، في المراحل الأولى من المشروع، بعدد من المقاولين المحليين، وذلك لقلة عدد عمال البلدية في ذلك الوقت، وأخيرا الرقابة الصارمة على مخالفات إلقاء النفايات في الشوارع.

وبعد أن أصبحت المدينة نظيفة تماماً، تم التعاقد مع إحدى الشركات العالمية، ذات المستوى العالي، ثم أصبحت الشركات التي تتولى النظافة اليوم سعودية ١٠٠٪. وفي سبيل التخلص من النفايات اتجهت الأمانة إلى أسلوب الدفن الصحي، كأفضل الطرق وأنسبها لبيئتنا وظروفنا، وتم تحويل أكثر من مدفن إلى غابات مليئة بالأشجار في أطراف المدينة.

أنظمة البناء:

هذه المشكلة قد لا تواجه بعض البلدان، التي استقرت أنظمة البناء فيها منذ وقت طويل، كما تواجه غيرها، وقطعاً لدابر المشكلات رأى المسؤولون تثبيت أنظمة البناء: (المساحة والارتفاع، الشكل والتوزيع)، لكي لا يكون هناك استثناء. وكان الأمر صعباً في مدينة تتنامى بسرعة ويفد إليها الآلاف من أبناء الريف والبادية. واعتماداً على مبدأ المساواة، تم تطبيق هذا النظام بكل حزم، وذلك لتعويد الناس عليه، ولتمكين موظفي البلدية والمتعاونين معها من المراقبة. وقد نجحت الأمانة في ذلك، وأصبح البناء منسقاً ومرتباً ومراعياً لما حدده النظام.

الإسكان:

تمثل مشكلة الإسكان واحدة من القضايا الاجتماعية، التي تواجه المدن الكبرى في العالم. وهذه مهمة جداً بالنسبة لبلادنا، خاصة أن ديننا الإسلامي يحض على التكافل الاجتماعي، كما أن المجتمع العربي يحرص على الخصوصية في البناء، لذا فإن معظم مساكن الرياض هي وحدات مستقلة (فيلات) لها طابع الخصوصية. وقد تم توزيع


أصبح برج المياه بشكله المعروف، علماً بارزاً من أعلام مدينة الرياض.


ساعدت سعة الطرقات واستقامتها، على تفادي الازدحام والاختناقات المرورية، وسط العاصمة.


تبدو الرياض أثناء الليل بأنوارها المتلألئة كعروس غيداء تحيط بها الصحراء.

الأراضي على المحتاجين ومُنحوا القروض من صندوق التنمية العقاري، بشروط ميسرة جداً وبلا فوائد.

واعتمد التوسع الأفقي رغم تكلفة خدماته، مع المحافظة على التراث المعماري ما أمكن، وتوسيع الطرق لتفادي الازدحام، وبناء الأنفاق والجسور على التقاطعات الكبرى. ونجحت الجهود، بحمد الله، في القضاء على ظاهرة إنشاء المساكن العشوائية، التي تثقل كاهل القطاعات المعنية في بعض الحواضر الكبرى، وذلك بإقامة الضواحي الحديثة، بخدماتها الأساسية، مثل ضاحية (العريجاء) وضاحية (لبن).

التشجير والتجميل:

إن إحدى القضايا الخاصة التي تواجه مدينة الرياض، كونها في محيط صحراوي عميق يصل عمقه أحياناً إلى ألف كيلو متر.

وهو محيط جاف قاس قليل الماء، تربته صحراوية غير جيدة للإنبات. وكما هو معروف فإن أهم عاملين، لتحويل المدينة الصحراوية إلى مدينة خضراء مشرقة باسمة، هما توفير الماء وإعداد البيئة الصالحة للاستنبات، وللقارئ أن يتصور كيف يمكن توفير هذين العاملين في بيئة صحراوية قاسية كبيئة الرياض. وقد قامت الأمانة في هذا المجال بجهود كبيرة، منها:

توفير المياه:

عندما كانت مدينة الرياض صغيرة جداً، كانت تعتمد على الآبار الجوفية القريبة من سطح الأرض، ولم تكن الحاجة إلى الماء ملحة حينئذ، كما لم تكن هناك حدائق في البيوت، أو حدائق عامة تحتاج إلى الماء، لكن بعد نمو المدينة، وزيادة الطلب على الماء، لجأت الدولة إلى حفر آبار عميقة تصل إلى ألف ومائتي متر عمقاً، ثم إلى جلب مياه البحر المحلاة من الجبيل على بعد خمسمائة كيلو متر تقريبا، وبذلك توفر الماء للاستعمال البشري وري حدائق المنازل فقط.

زراعة الحدائق والمساحات الخضر:

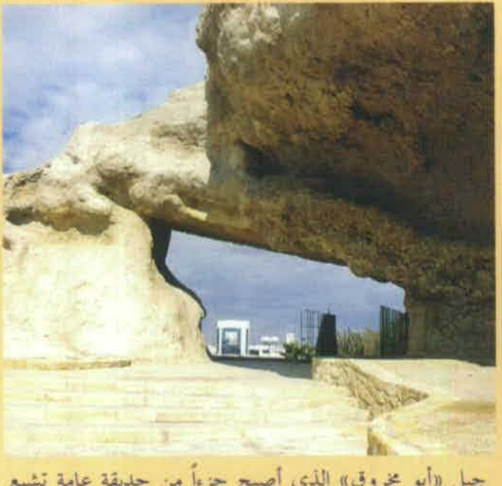
بذلت أمانة المدينة، وما تزال، جهداً كبيراً في نشر المساحات الخضر، والإكثار من الحدائق والمتنزهات، وتشجير الشوارع، ووضع النوافير في الميادين والساحات العامة، ودعوة الناس ومساعدتهم على زراعة حدائق بيوتهم ومحيطها الخارجي، كما أقامت حدائق وملاعب للأطفال في مختلف الأحياء.

وكان لاهتمام الدوائر الحكومية بنشر الحدائق والأشجار في منشآتها دور بارز في إنجاح خطة التشجير، حيث استفادت الأمانة من بعض الأجزاء وحولتها إلى ملاعب أطفال، واستلمت مزرعة كبيرة تزيد مساحتها عن ثلاثمائة ألف متر مربع، فيها ما يزيد عن ألف نخلة، وذلك لتحويلها إلى حديقة عامة في المنطقة.

كما تمت الاستفادة من مياه الصرف الصحي المنقاة لسقيا مزارع النخيل في وادي حنيفة والدرعية وعرقة والباطن دون مقابل، مما شجع الملاك على الاهتمام بمزارعهم، فأصبحت الحدائق تحيط بالمدينة خاصة من الجهة الغربية. كما أن المياه المنقاة تزود المدينة الصناعية ومصفاة أرامكو السعودية بحاجتهما.


مجسّم «الكتاب» يتوسط الدوار المؤدي إلى جامعة الملك سعود، التي تعد أكبر الجامعات بالمملكة.





جبل «أبو مخروق» الذي أصبح جزءاً من حديقة عامة تشيع الجمال والبهجة بين سكان مدينة الرياض.



«المصمك» ... بداية الانطلاقة التاريخية الكبرى.

توفير الطاقة الكهربائية:

هناك عامل آخر يحتل مرتبة مهمة جداً في ضمان حياة المدينة، وازدهارها وفي تجميلها أيضاً وهو موضوع «الطاقة الكهربائية» وكيفية توفيرها لمدينة كبيرة مثل مدينة الرياض، ولقد كنا نعاني في أول الأمر من ذلك كثيراً ثم تم التوسع في إقامة محطات التوليد حول المدينة. هذه المحطات تدار بالطاقة البترولية التي تشكل مصدراً مهماً من مصادر توفير الطاقة لمدينة الرياض لحل مشكلة حرارة الجو وتزويد البيوت والشوارع بالإضاءة، وكذلك تزويد المدينة الصناعية بالكهرباء اللازمة لتشغيلها.

وأخيراً وبعد أن تم إنشاء محطات التحلية في مدينة الجبيل لمد مدينة الرياض بالماء أمكن أيضاً مدها بالطاقة الكهربائية وأصبحت هذه ضمانة رئيسة ومساعدة كبرى للمحطات المحلية. ويمكن للقارئ أن يتصور مدينة يخترقها ما لا يقل عن ثلاثين ألف شارع، تسعون بالمائة منها مضاءة بالكهرباء. لقد أصبحت الرياض درة متلألئة في قلب الصحراء!!

حركة النقل بين أطراف المدينة:

حاولت الأمانة تفادي الازدحام والاختناقات المرورية بوسائل عديدة منها: تشجيع التوسع الأفقي في المدينة، ومراعاة سعة الطرق واستقامتها.

وبالرغم أنّ إيصال الخدمات لأنحاء المدينة المترامية الأطراف يكلف كثيراً، إلا أنّ له على المدى البعيد مردوداً كبيراً في تفادي الاختناقات. كما أمكن حل مشكلة التقاطعات بإنشاء الأنفاق وعدم اللجوء إلى الجسور العالية إلا في الحالات الضرورية. وقد وسعت قاعدة التقاطع وزرعت الأشجار فيها لكي يقلل ذلك من السلبيات المتوقعة. ولقد أدى اتساع نطاق تطبيق اللامركزية في مختلف المرافق والخدمات، وأهمها الخدمات التعليمية والصحية والبلدية والتسويقية وغيرها، إلى تقريب الخدمات لمستخدميها في مواقع إقامتهم والحد من اللجوء لمركز المدينة في كل أمر. كما ارتفع وعي المواطن والمقيم، وزاد اهتمامه بما يجري حوله، لهذا لا يلاحظ في مدينة الرياض ذلك الازدحام المروري الذي يشاهد في المدن الكبرى، رغم وجود قطار الأنفاق في كثير منها وعدم وجوده في مدينة الرياض.

تعدد الأسواق وانتشارها:

يلعب تعدد الأسواق وانتشارها دوراً مهماً في التقليل من ازدحام المرور وتوفير أوقات المتسوقين، وترشيد الطاقة، ولذلك لجأت الأمانة إلى إيجاد أسواق رئيسة في مختلف أنحاء مدينة الرياض، ابتداء بأسواق الخضراوات واللحوم والفواكه، فقامت حولها الأسواق المختلفة التي توجد فيها جميع المتطلبات الاستهلاكية والسلع المختلفة، على أن ذلك لم يؤثر على جاذبية مركز المدينة الرئيس فهو ما يزال عامراً ومهماً، خاصة بعد أن قامت الأمانة بتطويره ليظل مليئاً بالحيوية والنشاط.

ورغم وجود كثير من الأسواق التقليدية في المراكز التجارية، التي نشأت في أطراف المدينة، إلا أن السوق العربية التقليدية في قلب المدينة مايزال يجتذب الكثيرين.

تطوير مركز المدينة:

لقد أدى ارتفاع دخول المواطنين، وتحسن المستوى الصحي العام، وتوفر قطع الأراضي الممنوحة من الدولة للمستحقين، وتسهيلات قروض



مكتبة الملك فهد الوطنية.



يحتل مكتب أرامكو السعودية، موقعاً مميزاً في الحي الدبلوماسي بالرياض.



تحاول مدينة الرياض جاهدة، أن تحافظ على جانب من أصالتها المعمارية في خضم تطورها المتسارع.



أحد الشوارع الفسيحة، التي تتميز بها مدينة الرياض.

صندوق التنمية العقاري، وسهولة الانتقال بين الأحياء، إلى دفع الكثير من سكان المدينة القديمة، ذات البيوت الطينية والشوارع الضيقة، إلى بناء بيوت تتوفر فيها التهوية والسكن الصحي والحدائق الخاصة.

وقد أدى ذلك إلى نزوح عدد كبير من سكان المناطق القديمة، فأصبحت بيوتهم مهجورة أو شبه مهجورة، يُسكن بعضها، وبعضها يُستخدم كمستودعات، في حين تهدّم بعضها الآخر، مما حولها إلى بؤر موحشة في وجه وجبين مدينة حسناء (هي الرياض). وكان لابد من العلاج لذلك حتى تتحول هذه الأجزاء إلى مناطق حية نشطة تزخر بالحياة والحركة. ولما كان تطوير هذه المناطق، عن طريق الحكومة، سوف يكلف مبالغ طائلة جداً، فقد رُؤي أن يتم تطويرها بالطرق الآتية:

– تشجيع القطاع الخاص على تملك أعدد متجاورة من المنازل وإزالتها ثم تحويلها إلى محال تجارية.

– تطوير المناطق الإدارية والدينية والثقافية بإقامة المباني الرئيسة الثلاثة، مبنى إمارة المنطقة، ومبنى أمانة مدينة الرياض، ومبنى شرطة المنطقة، ثم بناء قصر الحكم والساحات المحيطة به، وبناء الجامع الكبير، وترميم قلعة المصمك، وإقامة بعض المباني والمتاجر المساندة، وربما يكون هذا الجزء من المشروع، هو أكبر مركز مدينة أعيد تطويره في العالم.

– تأسيس شركة بين كل من أمانة مدينة الرياض التي تمتلك مساحات كبيرة تقدر بخمسين ألف متر من المناطق القديمة، ومصلحة معاشات التقاعد، والمؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، والشركة السعودية العقارية لتطوير المنطقة، وإقامة مجمع تجاري ضخم عليها. وقد بلغ رأسمال هذه الشركة ستمائة مليون ريال سعودي. وقد أقامت الشركة مجمعاً تجارياً، يقدر حجمه بأكثر من مائتين وأربعين ألف متر مربع، وهو أكبر مجمع تجاري يتم إنشاؤه، حتى الآن، في منطقة الشرق الأوسط، ويضم ١١٥٠ محلاً تجارياً، وفندقاً، ومائتين وثمانين مكتباً، وبه ألفان وأربعمائة موقف سيارة، كما قامت الشركة أيضاً بتطوير أسواق الديرة فبلغ مجموع محلاتها ٤٨٠ محلاً تجارياً.

– تأسيس شركة الرياض للتعمير، وهي شركة مساهمة، برأسمال قدره ألف مليون ريال. وسوف تقوم هذه الشركة بتطوير عدة مناطق من الرياض القديمة، على مراحل. بالإضافة إلى دور ومساهمة الأمانة في ذلك، وقد رسا أول المشروعات على إحدى الشركات الوطنية، وهو المشروع المقابل لمركز المعيقلية من الجنوب، مما يجعله مشجعاً لمركز المعيقلية بعد اكتماله وتشغيله، وهو يشتمل على محال تجارية، ومكاتب، وشقق سكنية، ويلاحظ الإصرار على وجود الفندق والشقق السكنية في هذه المشروعات العملاقة، كي يظل مركز المدينة نابضاً بالحياة نهاراً وليلاً.

مركز المشروعات والتخطيط:

يضم هذا المركز ثلاثة مكاتب مهمة، هي: مكتب حي السفارات، ومهمته تخطيط وتنفيذ مشروعات حي السفارات، ومكتب مشروع تطوير منطقة قصر الحكم، ومكتب التخطيط العمراني. ويعد هذا المركز، هو المسؤول عن تخطيط المدينة ودراستها الحضرية والاقتصادية والبيئية، كما يقوم بمشروعات أخرى.

الطريق الدائرية:

قامت وزارة المواصلات بتنفيذ هذا المشروع العملاق، الذي يقدم خدمات جمة لسكان الرياض، منها سهولة وسرعة التنقل بين الأحياء والمراكز التجارية، وسهولة الدخول والخروج من المدينة وإليها، إضافة إلى الوجه الجمالي، الذي يضفيه عليها.

التمويل:

رغم أن حكومة المملكة، بقيادة خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز، أيده الله، وسمو ولي عهده الأمين، تتحمل كامل ميزانية الخدمات ومنها البلديات، إلا أن البلديات في المملكة بدأت في تحسين مواردها الذاتية، فأنشأت الوزارة إدارة عامة لتنمية موارد البلديات

مهمتها توجيه البلديات إلى رفع دخلها الذاتي. فقد تحسنت موارد أمانة الرياض وارتفعت سنوياً، حتى أصبحت تشكل جزءاً أساسياً من ميزانية التشغيل، وذلك عن طريق أجور المحال والأراضي المملوكة للأمانة، ورسوم رخص البناء والمحلات التجارية، ورسوم الإعلانات، والنسبة المئوية التي تأخذها من دخل شركة الكهرباء، وهو مبلغ كبير نسبياً، وكذلك الرسوم التي تؤخذ على الإعلانات الخاصة، ورسوم تسجيل السيارات، وبيع الأراضي مثل زوائد التنظيم وغرامات المخالفات، وغير ذلك.


لقطة شاملة بعدسة «عين السمكة» لجانب من مدينة الرياض التي يقطنها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة.

التنسيق :

رغبة من الأمانة في القضاء على الآثار السلبية المصاحبة لتنفيذ المشروعات أو التقليل منها، إلى أبعد حد، وكذلك توظيف الإمكانات المتاحة بكفاءة وفاعلية، فقد قامت بإنشاء مكتب التنسيق ليكون وحدة إدارية مسؤولة عن تنسيق ومتابعة المشروعات في المدينة، مما يساعد على تقريب وجهات النظر، وتوحيد المعايير بين الجهات المنفذة للخدمات، وإيجاد روح للحوار والنقاش البناء، وتنمية شعور الحفاظ على شوارع المدينة وطرقها، وإيجاد قنوات اتصال مناسبة ومتعددة. وكان لجميع الجهات المسؤولة عن المرفق أو التي تتأثر بتلك الإنشاءات، كالمرور والدفاع المدني والمواصلات والكهرباء، ممثلون معتمدون لدى هذا المكتب، يجتمعون أسبوعياً لدراسة ظروف كل مشروع، وتنسيق تنفيذه بشكل لايتعارض وانسياب الحركة العامة.

ومن المعروف أن التنسيق الفعال يشمل وضع خطة عامة لمشروعات المدينة وتحديد أولوياتها ودمجها ضمن خطة الدولة، على أن تلتزم وزارة المالية ببرامج التمويل والجهات الحكومية الأخرى بالتنفيذ على أساس تلك البرامج والخطط، مما يتطلب فتح قنوات اتصال على جميع المستويات الإدارية.

ولكي يتمكن المكتب من القيام بالمهام المناطة به، كان لابد من ربطه مباشرة بأمين المدينة المسؤول الأعلى عن أجهزتها. وقد أثبت هذا التنظيم فعاليته وخفف من تضارب الأعمال وتعطيلها، كما خفف من معاناة المواطنين والقاطنين حول المواقع التي تنفذ فيها تلك المرافق.

التسمية والترقيم :

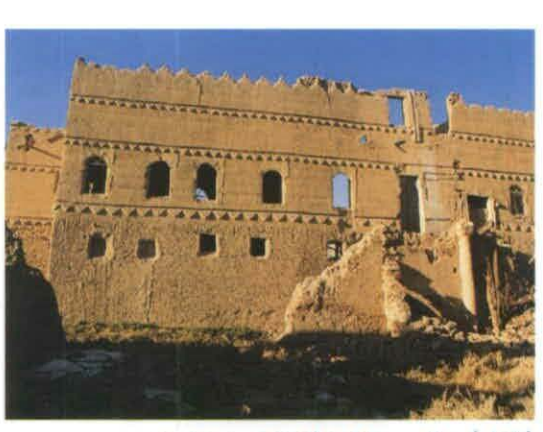
تم تشكيل فريق عمل مكوّن من استشاريين متخصصين مع لجان من أمانة مدينة الرياض، وتمت دراسة وضع المدينة وتوسعها العمراني، وطريقة تحديد الأحياء وتوسعها العمراني، وطريقة تحديد الأحياء وحجمها، واتخذت أنسب الأنظمة التي تتوافق مع تخطيط المدينة، مع مراعاة سهولة استخدامه من قبل كافة فئات المجتمع. كما تم اختيار نظام القطاعات لتسمية الأحياء والشوارع وترقيم العقارات، بحيث يتكون أي عنوان من ثلاثة عناصر : رقم العقار، واسم الشارع، واسم الحي .

الاهتمام بالصيانة :

إذا كان إنشاء الطرق والميادين والمرافق العامة مهماً جداً، فإن الحفاظ عليها وصيانتها للاستفادة المستمرة منها يعادل أهمية إنشائها.

لقد صاحب الاتساع الحضاري والعمراني للمدينة اتساع مماثل في شبكات الطرق والإنارة والجسور والأنفاق،وكذلك المرافق العامة التابعة للأمانة.

وقد باتت الحاجة ملحة لإيجاد إدارة قادرة على صيانة وتشغيل تلك المنجزات للمحافظة على الاستثمارات الضخمة، التي أنفقت في سبيل إنشاء هذه المرافق. إذ تم في عام ١٤٠٥ هـ (في نطاق إعادة تنظيم الهيكل الوظيفي للأمانة) تحويل إدارة الصيانة بأقسامها الصغيرة إلى إدارة عامة للتشغيل والصيانة. وتم بناء الهيكل التنظيمي للإدارات المختلفة التابعة لها، لمسايرة حجم الأعمال الكبيرة المناطة بها، طبقاً لبرامج مدروسة ومحددة، للحفاظ على شبكة الطرق بما تحويه من شوارع وميادين، وأرصفة وجسور، وأنفاق للسيارات والمشاة، وقنوات لتصريف مياه السيول، وكذلك شبكة إنارة الشوارع، بالإضافة إلى المرافق العامة مثل الأسواق المركزية، ودورات المياه العامة، والمباني التابعة للأمانة، وصيانة وتشغيل كل ما يخدم تلك المنشآت من معدات وسيارات وأجهزة.


أطلال أحد القصور الطينية القديمة في مدينة الرياض.

مشكلات المدن الكبرى :

من المعروف أن كثيراً من المدن الكبرى في العالم تعاني من مشكلات متنوعة، مثل نقص الإسكان والمرافق، ونقص مقاعد الدراسة وأسرّة المستشفيات، ومشكلات مرورية معقدة، وبطالة، ونقص في الماء والكهرباء والهاتف، وتردي في مستوى النظافة، وانتشار الجريمة، وغير ذلك، سواء أكان ذلك في المدن ذات الدخل المرتفع، مثل نيويورك وطوكيو، أم ذات الدخل المتواضع مثل بومباي ومكسيكوسيتي، دون حلول ممكنة تلوح في الأفق.

فبعض هذه المدن، التي خططت أصلاً لاستيعاب عدد معقول يتناسب وحجمها وخدماتها ومرافقها، أصبحت خلال عقدين أو ثلاثة تضم ستة أمثال ما خططت له، وكراتشي ونيودلهي أوضح مثال لذلك.

ومن دراسة تلك المشكلات ولتجنيب مدينة الرياض في المستقبل ما عانته تلك المدن، جاء تخطيط مدينة الرياض مراعيا مبدأ لامركزية الخدمات، وسهولة الحركة في شوارعها، وتوازن الكثافة السكانية في أحيائها، نتيجة لتحديد ارتفاعات مبانيها واقتصارها، في الأغلب الأعم، على طابقين من تحديد نسبة البناء إلى مساحة الأرض، وترك نسبة ٤٠٪ من حجم الأرض للحديقة، وضماناً لعدم تعرّضها في المستقبل لما تعرضت له المدن الكبرى من المشكلات.

إن التوسع العمراني الهائل في مدينة الرياض قد كلف الدولة مبالغ كبيرة في إيصال الخدمات وصيانة المرافق، وكذلك احتياج المدينة إلى جهاز أمني أكبر. لكن ذلك - رغم تكاليفه - يهون مقابل قيام مدينة كبرى لاتعاني من كثافة السكان أو اختناق حركة المرور أو غير ذلك من الضغوط، التي تتعرض لها المدن الكبرى.

كما أثبتت التجارب أيضاً، من الناحية الأمنية، أن المدن الأفقية في أبنيتها أكثر أماناً من تلك التي تعتمد البناء الرأسي العالي. وحتى تضمن مدينة الرياض متابعة



الجامع الكبير بشكله الجديد ومئذنته التي ترتفع عالياً في السماء، في قلب العاصمة الرياض.

مشكلات المدن الكبرى وتلافيها في المستقبل، فقد استحدث في مكتب الأمين قسماً لدراسات المدن الكبرى، مهمته متابعة الأبحاث المتعلقة بتلك المدن ومعالجة مشكلاتها، حتى تتكون لدى الأمانة صورة واضحة عن تلك المشكلات ومحاولة تلافيها في المستقبل، ولهذا القسم اتصالات بالمعاهد والمراكز المتخصصة، منها منظمة المدن الكبرى «متروبولس»، ومشروع المدن الكبرى في جامعة نيويورك.

كلمة حق وعرفان :

فيما يخص مدينة الرياض فإن أمانة مدينة الرياض تشيد، بكل إكبار وإجلال، بدور صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، الذي حقق لهذه المدينة، بصلاته الطيبة وعلاقاته الشخصية وقدراته الفذة، أموراً يعجز القلم عن حصرها حتى أصبحت الرياض درة في صحرائنا الواسعة، وفريدة بين المدن، رغم ظروفها الصحراوية القاسية.

كما أشيد بالجهود الرائعة والإنجازات العظيمة، التي تولى مركز المشروعات والتخطيط بالهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض تخطيطها وتصميمها وتنفيذها، وخاصة حي السفارات، وفي جزء كبير من طريق الملك فهد، ومشروع تطوير وإعادة بناء قصر الحكم، والإدارات الرئيسة : الإمارة والأمانة والشرطة والجامع الكبير، وجامع الإمام تركي بن عبد الله .. وغير ذلك. وإذا كان مركز المشروعات والتخطيط، لكونه الجهاز الفني للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، متمما لجهود الأمانة في تطوير العاصمة، فإن دور وزارة المواصلات يبدو بارزاً ومهما وله أثر إيجابي غير محدود، وإنجازاتها كثيرة أهمها : الطريق الدائري حول مدينة الرياض وطريق مكة المكرمة وطريق خريص والجزء الشمالي من طريق الملك فهد، وغير ذلك وكلها مضاءة ومشجرة أيضاً. وكذلك جهود وتعاون وزارة الزراعة والمياه في تشجير عدد من الشوارع الرئيسة في مدينة الرياض.

ولعل مساهمات كثير من الإدارات الحكومية بتجميل مدينة الرياض أمر واضح في زراعة وتشجير مقارها، وهو أمر نادر في كل بلاد الدنيا، حتى تلك التي تهطل عليها الأمطار يوميا صيفا وشتاء.

إن من ينظر فعلا إلى حدائق وزارة الخارجية ووزارة الشؤون البلدية والقروية ومؤسسة النقد العربي السعودي و جامعة الملك سعود ومعهد العاصمة النموذجي، وكثير غيرها من الوزارات والدوائر الحكومية يتصور أنها حدائق وليست إدارات حكومية.

هذه لمحة خاطفة عن بعض نقاط حركة التطوير والتحديث في مدينة الرياض، وبفضل من الله ثم برعاية خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين، ودعم ومتابعة الحكومة الرشيدة، وتكاتف مختلف قطاعات النشاط، تمت في مختلف المرافق والخدمات إنجازات عديدة أخرى لاتكفي الإشارة إليها بعبارات قصيرة لأنها مراكز حضارية رائعة الجمال حديثة التصميم، ولايقدّر روعتها أو عظمتها إلا من يراها ويتجول فيها. ■

---

* الموضوع مستقى من محاضرة ألقاها معالي الأستاذ عبد الله العلي النعيم.
* صور المقال : أرامكو السعودية

يارَبْ

شعر: رفعت عبدالوهاب المرصفي - مصر

ياربُّ - مالي في المدَى إلا كا ... وأنا المُتيمُ في رحابِ هَوَاكا

لهج اللسان بذكر اسمك وانتشى ... خفقَ الفؤادُ وذاب في نجواكا

والنفسُ عاشتْ في نعيمِ صفائها ... حين اطمأنتْ تحتَ عزِّ رضاكا

ربّاهُ - هاجتْ في الحياةِ ظلائمٌ ... فامنُنْ علينا من فيوضِ ضياكا

دربُ الحياة بغير هدْيكَ محنةٌ ... كيف المسيرُ إذا الفؤادُ عصاكا؟

إني ارتميتُ ببابِ عفوكِ لائذاً ... فأرفِقْ بقلْبٍ لا يرومُ سواكا

يارَبُّ مالي في المدى إلا كا ... وأنا المتيمُ في رحابِ هواكا

عظُمَتْ ذُنوبي واستباحَتْ فطرتي ... فاحمِل ثقالي فوقَ متنِ حماكا

مَنْ للغَريقِ إذا الشطوطُ تباعدتْ ... أنت المغيثُ إذا الغريقُ دعاكا

يارَبُّ مالي بالخلائقِ حاجةٌ ... أنتَ الكريمُ - وفي الصعابِ أراكا

إني اعتصمتُ بحصنِ عفوكَ طائعاً ... فافتحْ رِحاب العفوِ كيْ ألقاكا

الباعث الفني عند كتّاب السيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية

عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري - الرياض

يصف علماء الاجتماع الإنسان الأول بأنه كان يعيش في خوف دائم وحذر متصل؛ ولذلك فقد أورث من بعده نزعة التردد في الكشف عن نفسه ودخائلها وأسرارها . فالناس - إذا استثنينا كتّاب السيرة الذاتية - ما يزالون يميلون إلى الاحتفاظ بأسرارهم الخاصة ، ولا يحبون أن يُفضوا بما في نفوسهم لكل غاد ورائح .

كاتب السيرة الذاتية شخص لديه قدر من الشجاعة التي تتفاوت من شخص لآخر ، لأن يكشف عن ذاته مع ما يترتب على عمله هذا من أن يجعل حياته الخاصة أمراً مشاعاً بين الناس ، وأن يُعرّض نفسه لمجموعة من ردود الفعل المتباينة التي قد يُبْديها قراؤه في سيرته ، كأن يتهمه بعضهم بالغرور ، أو حب الذات ، أو الركض وراء الشهرة .. إلخ .

كما أن من طبيعة السيرة الذاتية – بوصفها جنساً أدبياً – إفضاء الكاتب ببعض أخطائه وعيوبه الشخصية ، فليس ثمة كمال في عالم البشر .

ومن هنا ، فالسيرة الذاتية عمل محفوف بالمخاطر ، وكتابتها ليست من الأمور السهلة الهيّنة – كما قد يتصور بعض الناس – ، بل هي من الموضوعات الشاقة ؛ لأن الإنسان يجد صعوبة في التجرد من نفسه ، والتخلص من أهوائه ونزعاته الخاصة ، إضافة إلى أن الحوادث التي يرويها عن نفسه قد تعصف بقدرته على وزن الأشياء وتقويم الأمور .

ومع كثرة الكتب المؤلفة في فن السيرة الذاتية ، فإنها لا تعد من الأمور المألوفة التي يتقبلها الناس في يسر وسهولة ، ولذا يحاول معظم الكتّاب أن يلتمسوا في مقدمات «كتبهم الأعذار» ويسوّغوا البواعث التي دعتهم إلى الكتابة عن أنفسهم ، ولا يقتضي ذلك بطبيعة الحال أن يكون ما يذكرونه هو السبب الحقيقي والدافع الأصيل .. » (١)

ولكن : لماذا يعرّض كاتب السيرة الذاتية نفسه طواعية لمخاطر الكتابة عن الذات ؟ .. عن هذا السؤال الوجيه يجيب أحد الدارسين، وهو الدكتور صالح بن معيض الغامدي فيقول : « لابد للباحث من أن يفترض أن هناك سبباً ، أو أسباباً معينة تجعل مخاطرة الكاتب بهذه الأمور ، أو – على الأقل تخوفه منها – أمراً أقل خطورة من إحجامه عن كتابة سيرته الذاتية » .

ومضى إلى الحديث عن دوافع كتابة السيرة الذاتية ، ووصفها بأنها « متعددة ومتنوعة ، وفي كثير من الأحيان مختلطة ومتداخلة » ، ثم خلص إلى أن من أهم الدوافع : « التبرير ، والاعتذار ، والتعليل ، والشهرة ، والتعليم ، ومتعة استرجاع الماضي، ومحاولة إعطاء الحياة معنى ... » .

وتوقف الدارس عند باعث مهم نابع من التراث العربي الإسلامي، وهو « التحدث بنعمة الله » ، وقرّر أن هذا المبدأ الإسلامي كان له دور مهم « في ظهور عدد كبير من السير الذاتية التي كتبها العرب والمسلمون » (٢).

وأوضح بأن هذا الباعث يستند إلى الآية الكريمة : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »(٣)، ولذلك فإن الحديث عن النفس في هذا الإطار عمل مندوب .

وقد فهم كتّاب السيرة القدامى هذه الآية « على أنها تعني بالدرجة الأولى رخصة قرآنية تسمح لهم (أو أمراً قرآنيا يفرض عليهم) كتابة سيرهم الذاتية ..

وعندما نعلم أن التحدث بنعمة الله لم يكن مباحاً فقط ، وإنما كان واجباً أو عبادة ، فلا نستغرب إذا ما وجدنا أن دافع التحدث بنعمة الله يأتي دائماً على رأس الدوافع .. (٤) .

على أن هناك دوافع دينية أخرى يذكرها بكر أبوزيد فيقول : «انتزع أولو النهى شرف العلم بأسماء الرجال ومصاحبة أنفاسهم

بذكر سيرهم وأخبارهم للاقتداء بصالح أعمالهم »[٥] ، واستشهد بالآيتين الكريمتين : « وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا »[٦]، وقوله : «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ »[٧] .

ووجه استشهاد الباحث بالآية الأخيرة أن « في دائرة المنتقدين للتبيّن في أخبارهم صيانة للديانة .. ومن هنا تمثلت أمام المسلمين الألوف المؤلفة من التراجم مدونة منذ أيام الإسلام الأولى وحتى الأزمان الحاضرة »[٨] .

ويمكن تقريب مقصد بكر أبوزيد بذكره هذا الدافع لكتابة السير الذاتية واستشهاده بالآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا .. » بأنه يعني ما يمكن أن يطلق عليه : الدفاع عن النفس ، أو التسويغ، وهما دافعان مهمان يستند إليهما كتّاب السيرة الذاتية.

وهناك باعث نفسي منطلقه غريزة حب البقاء ، فالإنسان – أي إنسان – يحب البقاء وخلود الذكر ، وقد جرى على لسان النبي إبراهيم عليه السلام ما يؤيد ذلك ، حيث يقول تعالى على لسان نبيه : « ... وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ »[٩] . وقد فسر العلماء هذه الآية بالقول : « أي اجعل لي ثناء حسناً في الآخرين الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة ... »[١٠] .

ويميل بعض الباحثين إلى أن الدفاع عن النفس وتسويغ ما يظنه الآخرون أخطاء من أعظم الحوافز لكتابة السيرة الذاتية ، وغاية الكتاب من ذلك تصوير عالمهم الخاص ، وتسويغ آرائهم الشخصية ، أو مذاهبهم ومبادئهم الخاصة ، أو توضيح سلوكهم وأحكامهم ومواقفهم .

وفي سبيل ذلك « يسلكون في الذود عن أنفسهم سبلاً من التفسير والتعليل والتحليل للمواقف والوقائع ، مظهرين –في غالب الأحيان– ألواناً من الصراع الروحي والفكري والنفسي »[١١] .

ويرى الدكتور نبيل راغب أن الذين يعانون من « إحساس عميق بالاضطهاد ، أو عدم الفهم ، أو الرفض ، يلجأون إلى كتابة السيرة الذاتية كنوع من الدفاع عن أنفسهم ، وتوضيح وجهة نظرهم في مواجهة العقول المغلقة » على حد قوله. [١٢]

ويشير الدكتور ماهر حسن فهمي إلى أن تعيين الباعث الفني للكاتب وتحديده يعين على تلمّس الحقيقة فيما يكتب ، أو فقدانها ، «فالذي يكتب لينفض عن نفسه همومها ، أو يكتب ليزيح القلق الفني الذي يعانيه معاناة الفنان .. يتحرى الصدق ، ولكن الذي يكتب من أجل دافع مادي ، أو من أجل الشهرة قد يخفي أو يدلّس » .

وينبه على شيء أخطر من ذلك ، وهو «أن يكتب مدافعاً عن نفسه أمام مهاجميه ، فمهما صدق في تسجيل أخطائه ، فلابد أن يبحث عن تبرير يصوغها في إطاره ، وقد يكون صريحاً في ناحية خطيرة ليخدع الناس عن ناحية أخرى أقل خطورة منها في نظر الناس ، بينما تكون في نظره أخلق بالستر والإخفاء ... »[١٣] .

وثمة دوافع أخرى لها دور في لجوء الكتاب إلى تسجيل سيرهم ، منها « ما هو في قالب إغراء مادي من قبل دار نشر ، أو باعث ذاتي تمليه إرادة حرة ، أو استجابة لإلحاح أصدقائه أو تلاميذه ... »[١٤] .

ومن الدوافع كذلك « متعة الذكرى حتى لا تغيب في ثنايا النسيان بعد تقادم السن .. والوقوف على معاني الحياة الماضية ومدى نصيبه منها في مجال العلم النافع والجهاد وما شاهده من المواقف، والأحداث التي كان لها ارتباط بحياته ، ينشرها أمام الأجيال القادمة ملتزماً الواقع»[١٥] .



د. غازي القصيبي

والدافع الأخير نجده عند المصلحين الذين يرغب أكثرهم في أن يشركوا الآخرين فيما مروا به من تجارب ونجاح[١٦] .

على أن فئة قليلة من المترجمين لذواتهم قد يغفلون « الإفصاح عن الغاية، اعتماداً على ذكاء القارئ الذي في وسعه أن يستنتجها بعد فراغه من قراءة سيرة كل منهم . »[١٧] .

وعلى هذا يمكن تحديد الدوافع الفنية لكتابة السيرة الذاتية في ثلاثة اتجاهات رئيسة هي :

- الدافع الديني المنطلق من المبدأ الإسلامي « التحدث بنعمة الله » .
- الدافع الفني المحض المعتمد على الرغبة في نفض الهموم عن النفس، واسترجاع الماضي ، والتنفيس عن الذات .
- الدافع المادي المنطلق من الرغبة في كسب مادي ، أو طلب الشهرة، أو تسويغ الأخطاء ، أو حب الامتداد والبقاء .

وغني عن البيان أن ذلك لا يعني اقتصار العمل على دوافع ذات اتجاه واحد ، وإنما قد يتجاوز ذلك إلى الجمع بين الاتجاهات الثلاثة

أو بعض دوافعها على الأقل .

ولكن ماذا عن كتّاب السيرة الذاتية لدينا؟ وهل أفصحوا عن غاياتهم من الكتابة؟ وإلى أي الاتجاهات يمكن تحديد بواعث الكتابة عندهم ؟

ويأتي في مقدمة الحوافز أو الدوافع : التحدث بنعمة الله ، وهو «الدافع التقليدي لكتابة السيرة الذاتية في أدبنا العربي القديم » (١٨)، ففي سيرة محمد عبدالحميد مرداد ، « رحلة العمر » ، لا نقف على تحديد الباعث الفني ، غير أن القارئ يستشف ذلك من السطور الأولى من الكتاب ، وهو الرغبة في التحدث بنعمة الله : « بدأت رحلتي منذ ولدت حينما أخرجني الله من بطن أمي – رحمها الله – لا أفقه شيئاً ، ولا أعلم عن هذا الكون الفسيح مثقال ذرة .. » إلى أن يقول : « ... ونسأل الله أن يوفقنا لأداء شكره ؛ لما أسداه إلينا من نعمة السمع والبصر والعقل » (١٩).

و لم يقتصر كتابنا على هذا المفهوم الذي كان يعني عند كتاب السيرة الذاتية القدامى الخصوصية تحدثاً بنعمة الله على الفرد « لا رياء وسمعة وفخراً »(٢٠)، بل توسعوا في المفهوم ليشمل التحدث بنعمة الله وأفضاله وآلائه بلسان الجماعة ، وليس بلسان الفرد ؛ وبذلك تجاوز المفهوم خصوصية الفرد إلى عمومية الجماعة . (٢١)

ولعل في مقدمة الأسباب التي دعتهم للتوسع في المفهوم ، الحرج من الحديث عن النفس بشكل مباشر ، والرغبة في الإبانة عما عاشه الجيل الماضي من خوف وفقر ومرض، وما يعيشه الجيل الحاضر من أمن واستقرار وترف في المعيشة ورغد في العيش .

وساعد على ذلك أن جل أرباب السير الذاتية لدينا من الرواد الذين عاشوا فترات متباينة من حياة المجتمع السعودي ، أو فترتين مهمتين – على الأصح – ، الأولى : الفترة التي كان رزق المرء فيها كفافاً . والثانية : الفترة التي ارتفعت فيها نسبة الدخل وشاع فيها الترف وتميزت بالاستقرار والأمن .

والمهم من ذلك تلك الفترات التي كانت فيها المعاناة التي مرّ بها هؤلاء الرواد . يصرّح عبدالله بلخير الذي وُلد في الثلث الأول من القرن الماضي (أوائل القرن الميلادي الحالي) بأن من دوافعه لإملاء ذكرياته ، تسجيل تاريخ البلاد ونقله للأجيال ، ووصف هذا الصنيع بأنه « فرض كفاية » كما يهيب بالقادرين أن يقوموا « بواجبهم بالكتابة والنشر والتأليف عن الجوانب المشرقة في تاريخ بلادنا وأمتنا ... » .

وفي موضع آخر يقول بلسان الجماعة : « من حقنا أن نتحدث بنعم الله علينا ما ظهر منها وما خفي » (٢٢).

وتتعدد الدوافع لدى عبدالعزيز الربيع ، منها أنه كان ولا يزال – كما يصف نفسه – مشغول البال بالتطور الكبير الذي شهدته المملكة، وبهذه النقلة الهائلة التي نقلت بلادنا من حال إلى أحوال ، وهي نقلة سبّبت هوّة واسعة بين الماضي الذي أدركه في طفولته ، والحاضر الذي يعيشه حين أراد الكتابة عن ذكرياته . (٢٣).

ويذكر الدكتور زاهر الألمعي أن الحوافز التي شجعته على الإقدام على نشر سيرته كونها ترصد ملامح ومؤشرات تعطينا مدى التطور الذي شهدته بلادنا في جميع الميادين، وكونها تبين ما شهدته البلاد من رقي في جميع المجالات خلال الثلاثين عاماً التي تتحدث عنها السيرة .



د. محمد بن سعد بن حسين

ومضى إلى ذكر النعم التي ترفل فيها المملكة، ومنها : « الأمن والاستقرار ، والرخاء المادي ، وأكبر من هذا وذاك نعمة الإسلام الكبرى ، نعمة العقيدة الخالصة الصافية من الشرك والبدع والخرافات .. » (٢٤).

أما عند عبدالكريم الجهيمان فتتعدد الدوافع التي حفزته لانجاز سيرته الذاتية ، وكما يشير في المقدمة فإن : إلحاح الأصدقاء واهتمام القراء وتشجيع الكتّاب كانت من أهم تلك الدوافع .

ويستطيع الباحث أن يضيف دافعين هما: الباعث الفني المحض، والدفاع عن النفس (٢٥).

وللوقوف على الدافع الرئيس وجه الباحث سؤالاً للجهيمان بهذا الخصوص فأجابه قائلاً : « كتبت سيرتي الذاتية مسوقاً إليها بدوافع متعددة ، منها تسجيل الأطوار التي مررنا بها في حياتنا وما فيها من صعاب وشدائد ، الأمر الذي يوحي إلى الأجيال القادمة أن الحياة ليست نعيماً كلها ، وليست شدائد كلها ، وأن المرء في أطوار حياته يكون عرضة لكثير من الأحداث التي منها ما يتطلب الصبر ، ومنها ما يتطلب الشكر ، فالشكر يديم النعم ، والصبر يعقبه الفرج .. » (٢٦).

وهذه الدوافع التي يسوقها الجهيمان مقارناً بين الحياة الماضية والحاضرة تدخل في إطار « التحدث بنعمة الله » بمفهومه الواسع الذي سبق الحديث عنه .

وشبيه بمنطق الجهيمان منطق أحمد علي الذي استهل ذكرياته بمقدمة ضافية عن الحالة الإجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في بعض المناطق في المملكة قبل أكثر من ثمانين عاماً، ثم علّق على ذلك فقال : « هذه بعض ذكريات أنقلها للجيل الحاضر ليرى الفرق البعيد بين عهده وعهد هؤلاء ، وليحمدوا الله على ما وهبهم من النعم الثقافية والمادية والعلمية ويشكروه عليها » .

وفي موضع آخر نراه يقول : « هذه هي ذكرياتي القاصرة عن الأدب في العهد الماضي ، ومنها استطيع أن ألاحظ الفرق العظيم بينه وبين الحاضر ، وشكراً لله على ما أنعم »(٢٧).

فهو لا يصرح مباشرة بالباعث الفني ، ولكن القارئ لهذه السطور يستشف أن الباعث الرئيس إنما هو نقل معاناة الأجيال الماضية إلى الحاضرة ، ليقف اللاحقون على صور من حياة السابقين ، فيحمدوا الله على آلائه ونعمه . فالباعث إذن التحدث بنعم الله.

أما الدكتور محمد بن سعد بن حسين فيصف سيرته الذاتية « من حياتي » بأنها أحاديث استمدت من الذاكرة ، وأنه سجّلها: لا إيماناً بأهميتها ، ولكن لأسباب ثلاثة هي :

- استجابة لنوازع النفس وجنوحها لاستعادة ماضيها ، تلذذاً باستذكار حلوه ومره .
- أن أبناء المرء قد يرتاحون لقراءة ماضي أبيهم الذي قد يجهلون الكثير عنه .
- المتعة في قراءة مثل هذا الحديث ، وربما أخذ منه عبرة وموعظة، وربما وجد فيه عوناً في أمر من أموره.

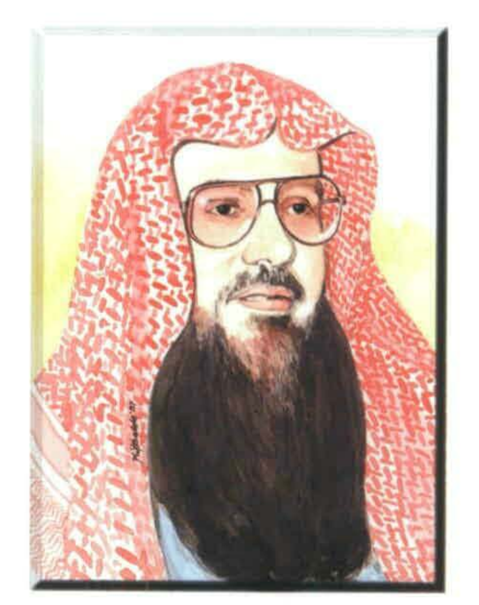
وواضح أن الباعث على الكتابة يتلخص في متعة استرجاع الماضي ، وأخذ العبرة ، والموعظة من تجارب الحياة الحلوة والمرة على السواء .

على أنني أرى أن هناك دوافع أخرى، إضافة إلى ما سبق، كان لها دور الكتابة عن الذات لدى الدكتور ابن حسين ، وهي إنصاف النفس أمام التاريخ ، وتسويغ ما جرى له من زاوية ذاتية محضة ، وتصوير صراعه المرير مع الحياة ، وتغلبه على الظروف القاسية التي مرّ بها ، ومن ثم شق طريقه إلى النجاح بعد سنوات من الكفاح والجد .

ثم إن سيرته تلخص تجارب طويلة في تثقيف نفسه ، ومحاولة إكسابها صورة مشرقة من خلال التدرج في السلك التعليمي حتى الأستاذية ، وتعلم طريقة برايل في وقت مبكر ، والضرب على آلة المبصرين . ، ومحاولة تعلم اللغة الإنجليزية(٢٨).

ومن هنا يمكن وصف « من حياتي » بأنها قصة كفاح ناجحة تنير للأجيال ، وبخاصة من يعانون من الإعاقة ، وتثبت لهم أن العمى عمى البصيرة ، وأن العزيمة والإصرار تتلوهما عواقب حميدة ، وأن الكفاح قادر على تذليل كل الصعاب .

وفي سؤال للباحث وجهه إلى ابن حسين عن الباعث الرئيس على الكتابة، أجاب إجابة عامة قال فيها : « يقيني أن من أهم الدوافع إلى كتابة السيرة الذاتية أمرين :



أبو عبد الرحمن الظاهري

الأول : الرغبة في بقاء الذكر ، وفي الكتاب العزيز قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » .

الثاني : الرغبة في إشراك الآخرين في المعاناة : «لعل لهم في ذلك عبرة واتعاظاً ... »(٢٩).

ولقد روى ابن حسين صوراً مؤثرة من المعاناة التي مر بها في صغره ، وصوّر بمهارة حزن والديه الشديد حين كف بصره . ومن ذلك ما ينقله عن والدته التي اسودّت الدنيا في عينيها وأصبحت لا ترى فيها إلا منظر طفلها المكفوف يتخبط ولا يستطيع الحركة ولا السعي ، وتصورت بمرارة ما سيلقاه في المستقبل من مصاعب ومتاعب ، وتساءلت : كيف يستطيع الأعمى أن يصارع الحياة ؟ ... وبلغ من شفقتها على وليدها الوحيد المكفوف أن تمنت موته ليسلم مما ينتظره في الحياة من صعاب .

ويعلق ابن حسين على أمنية والدته وتشاؤمها فيقول : « أم تدعو على وحيدها بالموت، يا لجسامة الرزية ! »(٣٠).

إننا حين نقرأ هذه المعاناة المرة التي يصورها هذا الكاتب بصدق ندرك بشكل واضح أن قصته وصراعه مع الحياة عبر أكثر من نصف قرن ، جديرة بالتدوين والخلود ؛ لتكون نبراساً لمن يكتنفهم اليأس ويثبطهم الإحباط .

أما خليل إبراهيم الرواف فالباعث الفني عنده تاريخي/فني ، حيث عزّ عليه – وقد امتدت حياته ما يقارب القرن من الزمان – أن

تطوى صفحات التاريخ المعاصر التي شهدها « وتصبح في حكم النسيان » .

ورأى أن من واجبه أمام التاريخ أن يجعل ما شهده وعاشه مِلكاً لكل قارئ وباحث ، مؤملاً أن يكون بعمله هذا قد أسهم بتوفير مادة « ذات قيمة وفائدة » (٣١).

ويأتي حافز « الدفاع عن النفس » ، ليشكل محوراً آخر مهما من دوافع الكتابة لدى أدبائنا السعوديين . ومن الطريف أنهم لايصرحون بذلك ، وإنما يستطيع القارئ أن يستنتجه بوضوح من خلال مجموعة من الأحداث التي يروونها .

وحين أراد الباحث أن يطمئن إلى صحة استنتاجه وجّه لاثنين منهم سؤالاً بهذا الخصوص ، فأجابا بـ « نعم » (٣٢).

أما أبوعبدالرحمن ابن عقيل الظاهري فيروي في تباريحه ثلاث قصص حدثت له في طفولته ، ويصفها بأنها فوادح من الظلم الاجتماعي ، ولا يصرح باسم من وقع منه الظلم عليه ، وإنما يقول : « أذكر هذه الفوادح فأشرق بريقي كراهة للظلم ، ولعلي أنسى هذه الآلام فأبيحه ، وإن كان سوء النية منه فيهن واضحاً » (٣٣).

وقد سألت ابن عقيل عما إذا كان من الدوافع لكتابة التباريح الدفاع عن النفس في بعض المواقف ؟ فأجاب : « نعم .. ككتابتي عن عدم التلازم بين الحب لشيخ الإسلام وتقليده » (٣٤).

ومن المرجّح أن يكون من دوافع الكتابة عند محمد حسين زيدان الدفاع عن النفس – كما يتضح لقراء ذكرياته في مواضع مختلفة من «ذكريات العهود الثلاثة» .

ومن ذلك تفنيده للإشاعة التي لحقته منذ سنوات بأنه يملك خمسة ملايين ، مما تسببت في مضايقته من قبل الدائنين ، في الوقت الذي يشكو فيه من الدّين (٣٥).

وهناك ثلاثة من كتابنا انطلقوا فيما كتبوه عن أنفسهم بدافع فني داخلي محض في المقام الأول ، وليس خارجياً .

ففي خضم معاناة الكاتب محمد عمر توفيق ، ومنذ أجبرته ظروف المرض على دخول المستشفى لعلاج كسور ذراعه الأيمن، شعر بأنه بحاجة ماسة للكتابة : « ... وما تمنيت قط أن أمسك القلم وأن أكتب، كما تمنيت ذلك وأنا في المستشفى .. كنت أشعر بأن رأسي مملوء بالكلام ، أو بما يشبه الهذيان» .

ولقد تعذر عليه أن يكتب ؛ لأن يمينه كانت مسجاة أمامه ، وتعذر عليه الإملاء كذلك ؛ لكرهه إياه ؛ ولإحساسه بأن بواعث الإملاء ، غالباً ، الشعور بالعجز وضعف الحيلة .

ومن أجل ذلك فقد طوى أفكاره في المستشفى ، وأرجأ موضوع الكتابة إلى حين الخروج ، وعن ذلك يقول : « كانت أعصابي تغلي .. كنت أعيش في ماضي الحادث ، وفي حاضره ، وفي مستقبله .. وما حاولت أن أنسى الماضي كما حاولت أن أنساه بعد أن خرجت من المستشفى ، غير أن هذا الماضي الحي في أعصابي ؛ فضلت أن يحيا على الورق ؛ ليموت في أعصابي » (٣٦).

فالباعث على الكتابة لدى محمد عمر توفيق فني/ذاتي أراد به أن يسكب معاناته على الورق سعياً وراء تخفيف مصابه .

وفي كلمات الإهداء الموجزة التي قدّم بها أحمد السباعي لسيرته الذاتية «أيامي» ما يكشف عن الباعث الفني الذي حفزه للكتابة ، حيث يقول في إهدائه : « .. إلى من جهل أثر التربية العالية في إعداد الجيل ، إلى من ظن النجاح في أساليبها القاسية .. أهدي كتابي » .

د. صالح الغامدي

وهو إهداء – على إيجازه – يحمل نقداً لاذعاً ، وسخرية مرة من الأجيال الماضية ، التي كانت تنتهج القسوة في التربية ، وتؤمن إيماناً لا يتزعزع بمقولة : « من علمني حرفاً صرت له عبداً » ، وبتقسيم جسم الطالب في ظل عبارتهم المتداولة حين يسلمون أبناءهم للفقي : « اللحم لك يا سيدنا ، والعظم لي .. » (٣٧).

فالباعث تربوي/فني ؛ لأن المضمون الأساس ، قضايا التربية والتعليم وتجربته وجيله فيهما ، والقالب فني قصصي .

أما الدكتور غازي القصيبي فيبسط في مقدمة كتابه «سيرة شعرية» الدوافع التي أملت عليه إعداد هذا الكتاب عن تجربته الشعرية ، ومنها أن يكون عوناً للباحثين الذين يتعرضون على نحو أو آخر لأشعاره ، ودليلاً أمام قارئ الشعر العادي يسهّل له عملية السفر داخل دواوينه(٣٨).

وفي ظني أن في مقدمة الحوافز أو البواعث، إضافة إلى ما سبق، وعيه بفن السيرة الذاتية بوصفه فناً جديداً له عشاقه ومحبوه .

أما حسن كتبي فيتساءل في ختام سيرته الذاتية « هذه حياتي » ويقول : « ما هو السر من هذا الكتاب المكتوب ، لماذا أنفق ما أنفق في كتابته من فكر ووقت وأعصاب وتنقيب؟ ولماذا اجترار الآلام التي برئت وإحياء ذكرها؟ » ، ويجيب : « .. فليس السر في كتابة هذا الكتاب كسب صداقات ، ولا عداوات ، ولا مدح ولا قدح ؛ ولكنه شيء آخر أسمى من كل ذلك : إنه غريزة حب البقاء » .

ويظهر أنه بقوله هذا كان ينظر إلى قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » التي فسّرها العلماء بامتداد الذكر الحسن ؛ ولذلك نجد كتبي يقول : « إن كل كائن حي يريد أن يبقى اسمه ويخلد ذكره » (٣٩).

ويبدو أن إشارته لغريزة حب البقاء جاءت بتأثير كتب التربية الحديثة وعلم النفس التي كانت من تصميم قراءاته في بعض مراحل حياته (٤٠).

وثمة بواعث أخرى يذكرها أدباؤنا ، منها الاقتداء بالمشايخ الذين يدونون سيرهم وأخبارهم ؛ ولذلك يروي أبوعبدالرحمن ابن عقيل أن كتب ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) لاتخلو من الحديث عن النفس ، وأنه منذ لاحظ هذه البادرة لدى شيخه ابن حزم حرص على تسجيل ذكرياته « مهما صغرت وتفجير عبرها الكامنة »(٤١).

ويذكر الدكتور زاهر الألمعي أنه كتب سيرته لتكون مرجعاً لأولاده بعد وفاته وأن من منطلقات الكتابة الاقتداء بالمشايخ السابقين الذين ترجموا لأنفسهم (٤٢).

ويقص عبدالعزيز الربيع في مقدمة سيرته أن أستاذاً اقترح عليه عقب تخرجه في الجامعة أن يتخذ له سجلاً يكتب فيه مذكرات يومية؛ ليصبح « هذا السجل بتقادم العهد ذخيرة من الذخائر يرجع إليه كاتبه ، فيرى فيه صورة لحياته الماضية ، ولحياة عصره ، وللظروف التي كان يعيشها أو تحيط به » (٤٣).

وخلاصة القول : إن معظم كتاب السيرة الذاتية ، بشكل عام، يخضعون لدوافع خارجية (دعوات الصحف ، دور النشر ، إلحاح الأصدقاء) ، وداخلية تنبع من النفس ذاتها ، وليس لأي جهة دور في توجيه الكاتب .

وفي غالب الأحيان يتوافق الدافعان : الخارجي والداخلي ، في حين قد يكون الدافع الداخلي الفني المحض هو المحرك وحده، كما هو الشأن في كثير من الإنتاج الأدبي في أجناس أدبية أخرى مثل الشعر والمقالة ، والرواية ، وسواها .

الهوامش

١ – علي أدهم ، لماذا يشقى الإنسان؟ القاهرة : مطبعة نهضة مصر (د. ت) ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠.
٢ – د. صالح بن معيض الغامدي ، « التحدث بنعمة الله وكتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم». المجلة العربية ، ع ١٩١ ، ذوالحجة ١٤١٣هـ ، ص ٨٨ .
٣ – سورة الضحى ، آية ١١ .
٤ – د. صالح بن معيض الغامدي ، « مصادر السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم». علامات، جدة: النادي الأدبي الثقافي ، ج٧ ، مج ٢ ، شوال ١٤١٣هـ ، ص ٥٠ ، ٥١.
٥ – بكر أبوزيد ، النظائر (م. س) ، ص ٢١ .
٦ – سورة البقرة ، من الآية ٣١ .
٧ – سورة الحجرات ، الآية ٦ .
٨ – النظائر ٢١ .
٩ – سورة الشعراء ، الآية ٨٤ .
١٠ – محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ١٠٥/٤ .
١١ – الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ٩٣ ، ٩٤ .
١٢ – دليل الناقد الأدبي ١٢٤ .
١٣ – السيرة تاريخ وفن ٢٤١ .
١٤ – مسلم بن عبدالله المسلم . « دراسة تحليلية لكتاب الأستاذ عزيز ضياء حياتي مع الجوع والحب والحرب » ، جريدة الرياض ، ع ٩٥٦٠ ، ١٤١٥٣/٢٠هـ ، ص ١٣ .
١٥ – النظائر ٢٦ .
١٦ – وقد ذهب باحث إلى أنهم مهما تعددت دوافع كتابة السيرة الذاتية فهي تندرج تحت عنوان هام ، هو « الإعجاب بالنفس » ، وهو رأي لا يخلو من المبالغة والتعميم. (انظر : السيرة تاريخ وفن ٢٤٧) .
١٧ – الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ١١٦.
١٨ – د. صالح بن معيض الغامدي ، « الممكن والمستحيل في السيرة الذاتية ». الرياض، ع٩١٠٣ . ١٤١٣/١٢/٦هـ .
١٩ – رحلة العمر ٦ .
٢٠ – المجلة العربية ، ع ١٩١ ، ذو الحجة ١٤١٣هـ ، ص ٨٨ .
٢١ – يصف محمد حسين زيدان ذكرياته بأنه « ليس فيها الأنا » وإنما كلها الـ « نحن » . «ذكريات العهد الثلاثة ١٦ » .
٢٢ – ذكريات عبدالله بلخير ٨١ ، ٢٧٦ .
٢٣ – ذكريات طفل وديع ٢٠ ، ٢١ .
٢٤ – رحلة الثلاثين عاماً ١٠ ، ١١ .
٢٥ – الجهيمان ، مذكرات من حياتي ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢١٤ . ٢٥٢ /
٢٦ – ورقة مخطوطة لديّ بقلم عبدالكريم الجهيمان تاريخها ١٤١٥/١٠/٩هـ .
٢٧ – أحمد علي ، ذكريات ، ص ٩ ، ٣٠ .
٢٨ – د. محمد بن سعد بن حسين ، من حياتي (مخطوط)، ١ ، ٢ ، ٦٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ .
٢٩ – ورقة مخطوطة لديّ أملاها الدكتور محمد بن سعد بن حسين تاريخها ١٤١٥/١٠/١٤هـ .
٣٠ – من حياتي ١٠ ، ١١ .
٣١ – صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث(مذكراتي خلال قرن من الأحداث)، ص ٧ .
٤٩ – الكاتبان هما : حمد الجاسر ، وأبوعبدالرحمن ابن عقيل .
٣٢ – تباريح التباريح ٥٩ .
٣٣ – أبوعبدالرحمن ابن عقيل ، مهاتفات للفكر والوجدان (الأسئلة الحيدرية) . جريدة الجزيرة، ع ٨٠٦٣ ، ١٤١٥/٥/٢١هـ ، ص ٢٠ .
٣٤ – ذكريات العهود الثلاثة ١٧٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ .
٣٥ – المصدر السابق ٢٤٦ .
٣٦ – محمد عمر توفيق ، أيام في المستشفى ١٣، ١٤ .
٣٧ – السباعي ، أيامي ٩ ، ١٣ .
٣٨ – سيرة شعرية ٩ .
٣٩ – انظر هذه حياتي ٢٥٦ . وانظر الآية الكريمة في سورة الشعراء الآية ٨٤ .
٤٠ – المصدر السابق ١٨ ، وانظر ص ٨٣ كذلك .
٤١ – تباريح التباريح ٩ ، ١٠ .
٤٢ – انظر : رحلة الثلاثين عاماً ٥ .
٤٣ – ذكريات طفل وديع ١٧ .

الحاسب الآلي .. طبيب وجراح

بقلم : د. محمد نبهان سويلم - مصر

منذ أن ظهر برنامج الحاسب الآلي للاستشارات الطبية المعروف باسم «مايسين» في نهاية الخمسينيات، أشرق قمر جديد في سماء تطبيقات الحاسب إضافة إلى التطبيقات المألوفة، كإجراء العمليات الحسابية والمنطقية وتخزين واسترجاع المعلومات.

وكشأن القمر الذي يبدأ هلالاً شحيح الضوء في أول الأمر، ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يصبح بدراً مكتملا، برز «مايسين» في الساحة الطبية بنفس الطريقة فأحدث أثراً محدوداً في بداية أمره. ومع التحسينات التي أدخلت على معداته وبرامجه، أصبح هذا الحاسب شيئاً أساسياً في مهنة الطب مثل سماعة الطبيب، وربما تفوق عليها مستقبلاً، ويظهر الطبيب الجديد على شاشات التلفزيون مرتدياً رداءه الأبيض المميز دون سماعة، ممسكاً بيده حاسباً دقيقاً صغير الحجم والوزن يساعده أثناء الكشف على المريض، وخلال إجراء العمليات الجراحية عن بعد، أو من داخل غرف الجراحة في المستشفيات.

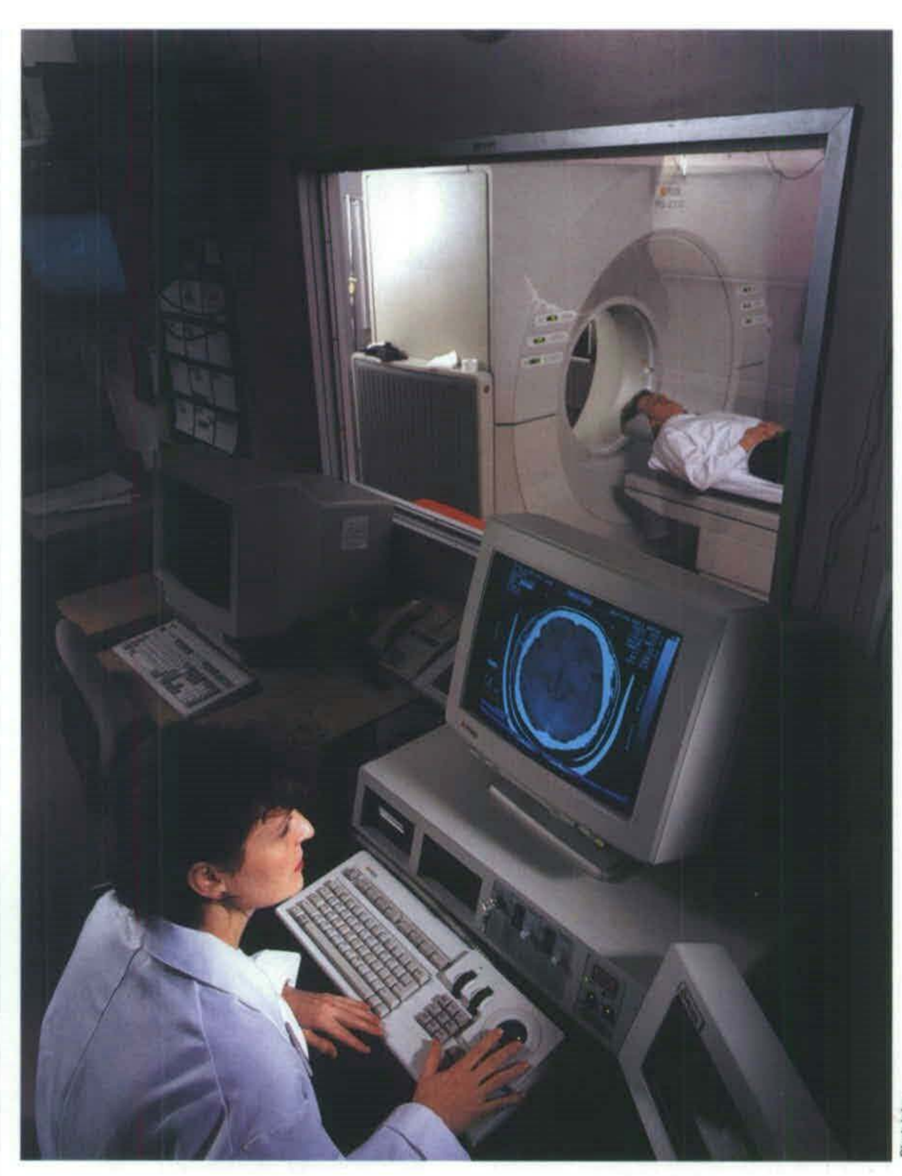
مثل هذا الأمر ليس حُلماً، فاليوم هناك قاعدة بيانات ضخمة للمرضى تتيح معرفة تاريخهم الطبي، بالإضافة إلى قاعدة بيانات ضخمة أخرى للعلوم والخبرات الطبية ومجموعة برامج متطورة لتدريس العلوم الطبية، يستطيع خلالها طلب المشورة، وتقديم الخدمة الطبية ومعرفة تاريخ المريض الطبي. وقطعاً سيقع بعض أطباء العالم الثالث في مأزق شديد، إن هم ظلوا على حالتهم في عدم مواكبة التطور ومداراة ما يقع فيه البعض من أخطاء بدعوى نقص الموارد والإمكانات.

ولقد جاءنا عصر الحاسب الآلي الطبي بالأعاجيب، لعل أبرزها أن يقوم الحاسب الآلي بتدريب الطبيب والنيابة عنه في إجراء الجراحة. فالبعض يرى مثلاً أن عملية إزالة المرارة بالمناظير مجرد عملية متكررة وبسيطة. تجري بمعدل مليون مرة سنوياً في العالم، وفق منهجية معلومة، مؤداها نفخ بطن المريض ووضع إبرة جراحية في جدار البطن ثم ثقبه لإدخال المنظار، (وهو عبارة عن عدسة وآلة تصوير دقيقة، بها إضاءة ذاتية تمكن الطبيب من رؤية الجزء الذي يريد علاجه)، ومن ثقب آخر في البطن، يتم إدخال أداة طويلة ذات مقبض رقيق، وهذه الأداة تتولى رفع كبد المريض برفق شديد، من أجل كشف المرارة. ومن خلال ثقب ثالث يستكمل الطبيب، تفتيت الحصى وسحبها خارج بطن المريض، وإعادة المرارة إلى وضعها الطبيعي، ويعود المريض بعدها إلى



أصبح الحاسب الآلي شيئاً أساسياً في مهنة الطب مثل سماعة الطبيب.

مطابع الزمكي



دخلت الحاسبات الآلية جميع مجالات الطب سواء في مرحلة التشخيص أو العلاج.



طبيب يدقّق النظر في خلايا المخ من خلال المجهر الإلكتروني .

منـزلـه في اليـوم التـالي بعـد أن منّ الـلـه عليه بالشفاء.

ورغم السهولة التي تمارس بها هذه العملية كل يوم ، في مختلف أنحاء العالم إلا أنها ليست خالية من الصعوبات، لعل أبرزها صعوبة الرؤية داخل البطن الذي يحتوي جميع أجهزة الإنسان الحيوية، مما يعني فقدان الرؤية الدقيقة، ناهيك عن أن إجراء العملية بالمجسمات والأدوات الطويلة، داخل البطن يتطلب دقة وعناية شديدتين.

والسؤال الذي يطرح نفسه ماذا تستطيع تقنية الحاسبات الآلية أن تفعله في هذا الصدد؟ والإجابة وفق ما تنشره دوريات رصينة ومجلات علمية كثيرة، تتمثل في أمور ثلاثة يركز عليها الجراحون وهي : أولاً : أن يرى الجراح الأجهزة الحيوية والجزء المصاب رؤية عين مجسّدة ومجسّمة و ثانياً : أن يتحكم في أدواته الطويلة مثلما يتحكم في أدوات الجراحة العادية عندما يفتح خراجاً على سبيل المثال . ثالثاً : أن تساعد التقنية الجديدة على رصد كل المتغيرات أثناء وضع المريض تحت مبضع الجراح، وأن يشعر الطبيب بحركة المشرط. وإذا راجعنا المتطلبات الثلاثة، التي ذكرناها آنفاً، نجد أننا نقف على أعتاب جانب آخر من عصر المعلومات، وأن ما اعتاد الأطباء على اعتباره دماً وأحشاءً وحركة مشرط



يتخذ الجراح قراراته بناءً على المعلومات التي يوفرها الحاسب الآلي.

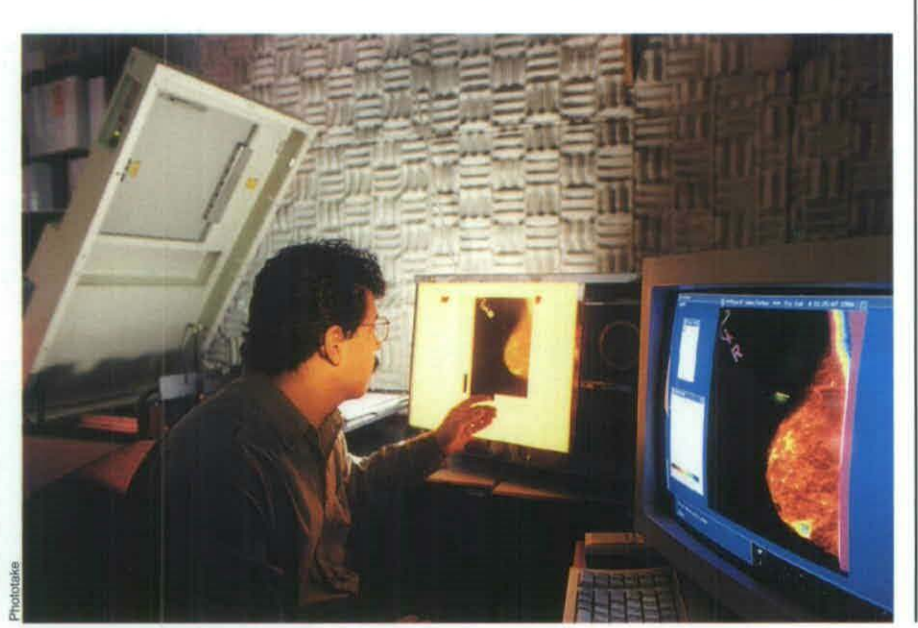
مطابع التريكي

ورؤية ثلاثية الأبعاد، يشكل مفردات لبيانات يمكن تحويلها إلى أرقام ورموز ثنائية من الصفر والواحد. والمشكلة تتلخص بعد ذلك في كيفية نقل هذه المعلومات ذهاباً وإياباً بين عناصر بث هذه المعلومات وبين الجراح ذاته.

وفي نهاية الأمر تصبح لدينا بيانات نريد تحويلها إلى معلومات، وعلى ضوئها يتخذ الجراح قراراته، من ثم تتحول إلى خطوات للتنفيذ، هي بذاتها العملية الجراحية المنشودة، ونتساءل : هل هناك آلة معلومات أفضل وأسرع وأدق من الحاسبات الآلية ذات البرامج المتطورة لمعالجة هذا الفيض المتدفق من البيانات، حتى يتم دمج الحاسب والإنسان الآلي ووسائل الاتصالات السريعة الضوئية، بأساليب التشخيص الطبي الفائقة التقنية في عمليات الجراحة؟

وللوصول بالأبحاث الجديدة إلى أهدافها المرجوة تبنى الدكتور « ريك سكافا»، جراح المناظير الشهير، ومدير برنامج جراحة المناظير في الوكالة الأمريكية للأبحاث المتقدمة، مشروعاً أطلق عليه مسمى «طب المستقبل» أغدقت عليه الوكالة الأمريكية لمشروعات الأبحاث المتطورة ملايين الدولارات، في سبيل تحقيق مفهوم الجراحة عن بعد التي يقوم بها الحاسب الآلي.

ويعد مشروع الإنسان الآلي، الذي لاتلحظه عين، مثالاً بارزاً على مدى التقدم التقني الذي تم تحقيقه فهو يساند مجالات طبية عديدة، بدءاً من كونه خطاً دفاعياً أولياً ضد الأمراض، وانتهاءً بعمله في تنظيف الشرايين، مما يتراكم على جدرانها الداخلية من رواسب. ويتم كل ذلك عن طريق أجهزة تدير وتحرك نفسها ذاتياً. أما مفهوم الجراحة وفق طب المستقبل فإنه يعني العلاج باستخدام نماذج تقنية خاصة لتحسين وزيادة مهارات الأطباء. وسيظل القرار، في النهاية بيد العنصر الإنساني وهو الجراح، الذي يتحكم في العمليات الجراحية. وتبعاً لذلك سوف يمارس الجراحون مهاراتهم على نماذج لأجساد افتراضية تكوّنها الحاسبات، وسيجرون العمليات باستخدام أدوات ميكانيكية على مرضى يوجدون على مسافات بعيدة عنهم، قد يكونون في القرى، أو المناطق النائية أو حتى في جبهات القتال. فكل المعلومات الطبية مثل نتائج أشعة أكس، ونتائج التحاليل المخبرية، أو قياسات ضغط الدم، يمكن أن تنقل للجراح أو الطبيب رقمياً على هيئة



Phototake

اختصاصي يعمل على جهاز رسم الثدي إشعاعياً .



Phototake

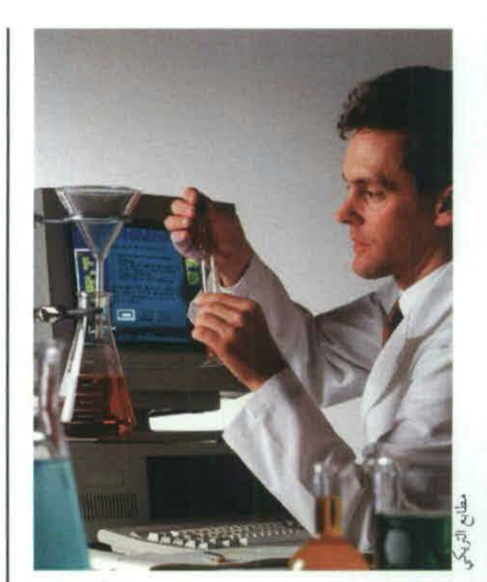
أحد الاختصاصيين الطبيين يفحص بعض أجزاء الدماغ باستخدام تطبيقات الحاسب الآلي.

سلسلة متدرجة من الصفر والواحد، وبذلك يمكن إعادة تشكيل صور الأشعة بأبعادها الثلاثية في شكل أقرب ما يكون إلى الواقع الذي نراه رأي العين.

ولكي ننتقل من فيض المعلومات إلى خطوات جراحية محددة ودقيقة يتطلب الأمر استخدام تقنية الحقيقة الافتراضية Virtual Reality ، وهي تجسيد وهمي لمريض بجانبه طبيب جراح يمسك بحاسب آلي، ويتعامل مع هذا الجسد الخيالي الممدد أمامه، ويجري له عملية خيالية، يتولى الحاسب الآلي ترجمة أداء الطبيب وينقله إلى حاسب آخر يدير إنساناً آلياً خاصاً يقوم بالجراحة الفعلية للمريض، مقلداً بدقة حركات وأداء الجراح، الذي يشعر أنه يقوم بجراحة حقيقية، وكأنه يحس ملمس الغرز وخلايا الجسد وتدفق الدماء. وباختصار فإن ذلك يمثل صورة حية دقيقة ثلاثية الأبعاد، تكاد تكون حقيقة واقعة، مما جعل بعض الجراحين يقولون، بعد انتهاء العملية الجراحية الخيالية، أنهم مدّوا أيديهم محاولين الإمساك بهذا المريض الوهمي. وبالطبع فإن المرضى لن يكون لديهم نفس القدر من الارتياح، الذي يبدو على الجراحين. ولكن بالنسبة لهؤلاء الذين يخشون أو لديهم قدر من القلق إزاء فكرة قيام إنسان آلي، يتم التحكم فيه عن بعد، بإزالة أو استئصال واحد من أعضاء أجسادهم، فلديهم وجهة نظر يجب أن تراعى في المراحل الأولى من تشغيل هذه التقنية وذلك وفق القاعدة التي تقول إن الإنسان عدو ما يجهل.

إن مثل هذه التقنية المتطورة يمكن أن تكون مفيدة خارج غرف العمليات مثل ميادين القتال، حيث تستطيع أن تعمل كسيارة إسعاف متنقلة، لإنقاذ كثير من المصابين الذين هم في أمس الحاجة لمثل هذه الخدمات، كما يمكن للجراحين الذين يعملون في مستشفيات الخطوط الخلفية الاستفادة من هذه التقنية أيضاً، حيث يمكنهم إجراء العمليات بسرعة للمصابين من مدنيين وعسكريين، دون الحاجة إلى نقلهم خارج أرض المعركة.

وليست جراحات الجهاز الهضمي هي الهدف الوحيد للحاسب الطبيب. فقد تم



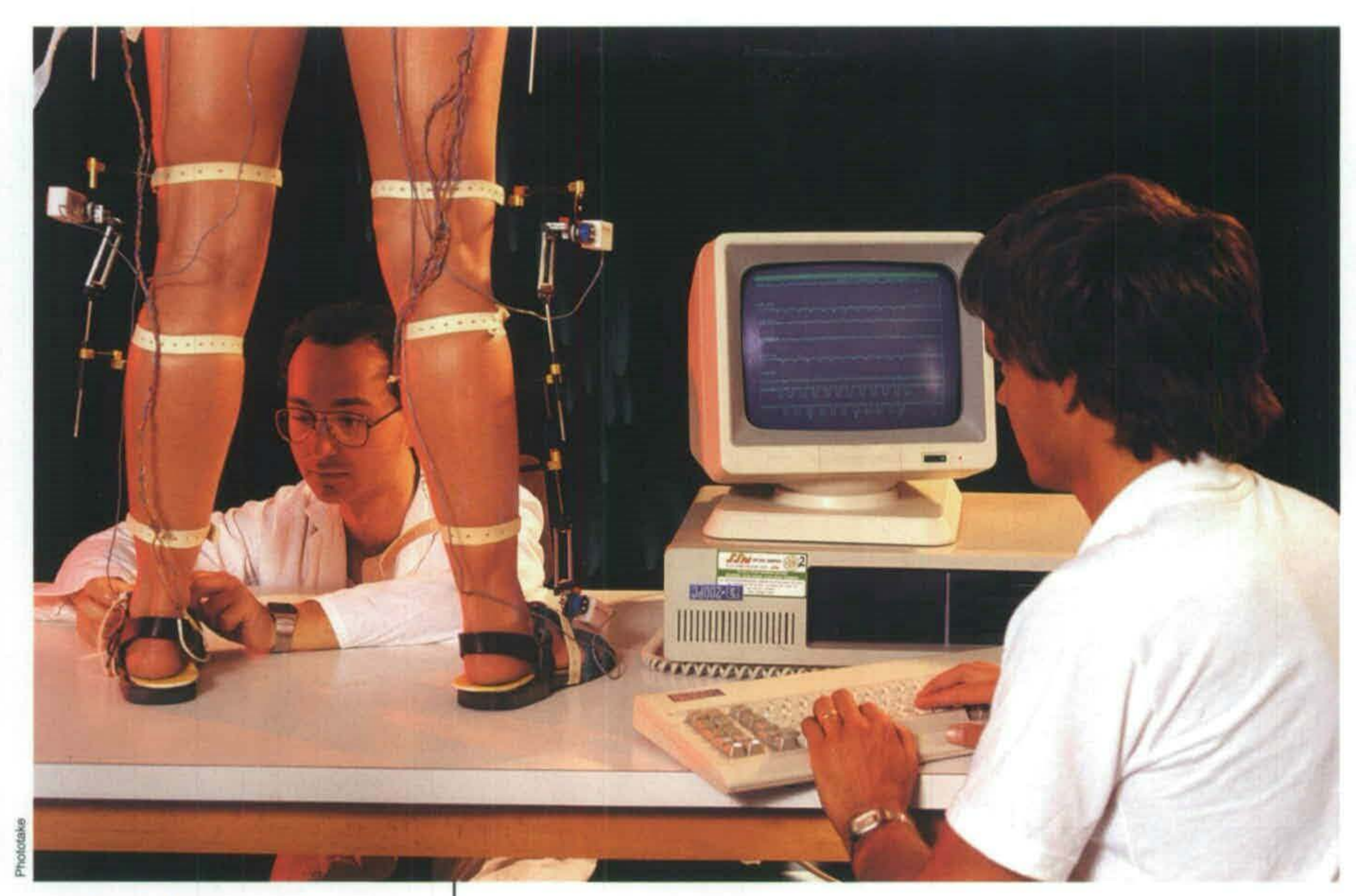
استفاد الاختصاصيون من تقنيات الحاسب الآلي لإنجاز أعمالهم المعملية.

تطوير أجهزة تقنية مماثلة ساهمت بدرجة محدودة، حتى الآن ، في بعض جراحات العيون. ومن المنتظر أن تسهم التقنية ذاتها في إجراء عمليات جراحية داخل القنوات شبه الدائرية في الأذن. كما أنها قد تساهم، يوماً ما، في علاج سطح شبكية العين، أو داخل خلايا المخ، مما يمكنها من التفوق مستقبلاً على استخدامات أشعة الليزر، التي يعتقد كثيرون أنها سوف تحل كثيراً من المشكلات، على حد قول «جاري توبيس» في دراسته عن هذه التقنيات، التي يؤكد فيها أن الليزر يولّد موجات ضغط متتالية أشبه بحفر ناتجة عن انفجارات صغيرة جداً بالغة الدقة، مما قد يؤدي إلى آثار جانبية على المريض.

والواقع أن هناك فرقاً شاسعاً بين الميكروسكوب الجراحي والحاسب الآلي الطبيب، فالميكروسكوب يكبر منطقة الجراحة أمام الجراح بنسبة تُحَسِّن من رؤيته للجزء المصاب، بينما « الحاسب الطبيب» يقلل من حركة الجرّاح الموضعية. فإن تحرك بحركة مقدارها سنتيمتراً واحداً، يتحرك الإنسان الآلي حركة لاتتجاوز ميليمترين، مما ينعكس أثره على دقة وأداء العمل. كما أنه يشعر بالرعشة اللاإرادية ليد الجراح مما يتيح للطبيب وضع الضوابط والحدود، التي يجب ألا يتعداها الجراح الآلي المنفذ للعملية الجراحية الفعلية للمريض ، وقد ساهم أيضاً في جراحات القلب المفتوح مما يستدعي زيادة سرعة أداء الطبيب الحاسب ليكون

Photolake

يستطيع الطبيب طلب المشورة، وتقديم الخدمة الطبية، ومعرفة تاريخ المريض الطبي من خلال الحاسب الآلي.



Phototake

عملية جمع المعلومات من خلال جهاز التوصيل الحركي الحسّي بمساعدة الحاسب الآلي.

أسرع من دقات القلب، حتى يمكن إجراء العملية بينما ما يزال القلب يضخ الدم إلى المريض.

مثل هذه النماذج الطبية سيصبح لها دور تعليمي كبير، ويجري في معامل البحوث في العديد من كبريات الجامعات الأمريكية والكندية تطوير برامج وأدوات الحقيقة الافتراضية، حتى تستجيب النماذج إلى بعض التأثيرات، كأن يسلط الجراح أو الطبيب ضوءاً على حدقة عين النموذج فتنقبض حدقة العين بنفس الدرجة التي تنقبض بها العين البشرية الحقيقية. أو أن يطرق الطبيب بمطرقته الصغرى على رجل النموذج الذي يعمل عليه الجراح، فيتولى الحاسب تقدير القوى المؤثرة كما لو كانت هذه العملية حقيقية.

وأيا كان ما يحدث فإن ممارسة الطب على وشك أن تشهد تغييراً جذرياً وحاسماً. وسيأتي يوم في المستقبل القريب، غير البعيد، الذي يمكن للمستشفيات وكليات الطب، وحتى عيادات الأطباء امتلاك إنسان آلي جراح يعمل، عن بعد، دون حاجة إلى دعوة الخبراء من بلادهم، ولن يكون مهما آنذاك أين يوجد المريض. وسواء أكان ما أسلفنا خيالاً تقنياً مقبولاً أو غير مقبول، فإن تزايد سرعة الحاسبات الآلية والتطورات الكبيرة في تقنية الإنسان الآلي قد تجعل خيال اليوم حقيقة الغد. ■

المراجع :

١ – د. أنور عبد الواحد، الروبوت – مركز الأهرام للترجمة والنشر – ١٩٩٥م.

٢ – د. محمد نبهان سويلم، الذكاء الصناعي – دراسة حول المفاهيم، عالم الفكر – الكويت – العدد الثالث ١٩٩٥م.

٣ – أعداد مجلة Discover لأشهر مارس – أبريل – مايو ١٩٩٦م.

4 – Howard E. Shorbe, Exploring Artificial Intelligence, Morgan Kaufmon publisher Cal. USA, 1987.

5 – Larry L. Wearetal, Computers, Mc-Graw Hill 1991, USA.

التلوث يهدّد ال



تمثل سلاسل الشعب المرجانية المنتشرة في عدد من بحار ومحيطات العالم نظاماً بيئياً متميزاً وعامراً بالتنوع الحيوي. لذا فإنها كانت دوماً مصدر جذب للغواصين والسياح والجيولوجيين وعلماء الأحياء البحرية للتعرف إلى كيفية تكونها ونظام حياتها وإمكانات استثمارها في أغراض طبية وصناعية . ولكن تلوث البحار بات يهدد بقاء هذه الشعب بشكل أزعج علماء البحار وأنصار البيئة في مختلف أنحاء العالم ، فقاموا مؤخراً بإعلان عام ١٩٩٧م « العام الدولي للشعب المرجانية » ، بل وأقنعوا كلاً من الولايات المتحدة وفرنسا واليابان وخمسة أقطار أخرى بدعم ما سموه «المبادرة الدولية لحماية الشعب المرجانية» ، وتبنوا برنامجاً طموحاً أطلق عليه اسم« الشبكة العالمية لمراقبة الشعب المرجانية » التي ستقوم بأول مسح من نوعه على الشعب المرجانية في العالم والتي تقدر مساحتها الإجمالية بمليون كيلومتر مربع [١] .

تشكيل الشعب المرجانية :

الشعب المرجانية هي صخور جيرية من أصل عضوي . وقد قامت ببنائها حيوانات بحرية دقيقة من طائفة المجوّفات المعروفة باسم « المرجلات المرجانية » التي تشبه شقائق النعمان والقناديل البحرية ، لكنها مدّعمة بهيكل فنجاني صلب مكون من كربونات الكالسيوم التي تفرزها تلك الحيوانات . ومن تجمع هذه الهياكل واتصالها تتكون جلاميد صخرية عظيمة ، وتتخذ أشكالاً عدة .

فهرس
المجلد الخامس والأربعين ١٤١٧ هـ

مقالات دينية

لغة وأدب وفن

قصائد

استطلاعات

قصص قصيرة

تربية وعلم نفس

طب وصحة

إدارة واقتصاد وطاقة

حيوان ونبات وبيئة

علـــوم

تاريخ وثقافة عامة

قراءة في كتاب

شعب المرجانية

بقلم : محمد حيان الحافظ – الرياض



تتخذ الشعب المرجانية أشكالاً وألواناً عدة، بحيث تبدو كحديقة مزدهرة تحت الماء.

تجد الأسماك في مخابئ الشعب المرجانية ملاذاً تحتمي به من الأعداء.

فبعضها يشبه قرون الأيل ، وبعضها الآخر مروحي الشكل أو يشبه كتل الإسفنج . وتتخذ الشعب المرجانية ألواناً عدة كالأزرق والأصفر والأخضر والأحمر بحيث تبدو كحديقة مزدهرة تحت الماء .

والحقيقة أن بناء الشعب المرجانية لايقتصر على حيوان المرجان وحده ، بل يشاركه في ذلك الكثير من فصائل الحيوانات العضوية التي تبني هياكلها من كربونات الكالسيوم مثل الرخويات والفورمانيفيرا (المثقّبات) والقنافذ البحرية[٢] والأحياء الصدفية التي تملأ بعد موتها التراكيب المرجانية الهيكلية .

ورغم أن التكوينات المرجانية قد نشأت بفعل عمليات ترسيب عضوية ، إلا أن العمليات البحرية من نحت بفعل الأمواج وإذابة وغيرها قد لعبت أدواراً كبرى في تشكيلها وتحديد خصائصها وبنيتها.

والملاحظ أن بيئة الشعب المرجانية تضم بالإضافة إلى الحيوانات المرجانية ، طحالب وكائنات بحرية وحيدة الخلية تسمى «زوكسانثيلا» ، ويرتبط هذان النوعان مع المرجان بعلاقة تكافل من أجل البقاء .

فالطحالب تستمد غذاءها من المرجان مستخدمةً أغلب ثاني أكسيد الكربون الناتج عن تنفسه في تصنيع الغذاء بوساطة عملية التمثيل الضوئي للنبات . وفي المقابل ، توفر هذه الطحالب وغيرها من الأعشاب مورداً متجدداً للأكسجين الذائب في الماء الذي يستنشقه حيوان المرجان[٣] . كما تساعد الطحالب الكلسية في ملء الفراغات التي توجد بين المرجانات الميتة .

مقومات الحياة في البيئة المرجانية :

يحتاج المرجان إلى بيئة خاصة تتراوح حرارتها بين ٢٠ و٣٦ °م ، كما يحتاج إلى قدر كافٍ من أشعة الشمس لكي تتم عملية التمثيل الضوئي للطحالب . ولذا لا ينمو المرجان عادة في أعماق تبعد ٥٠ متراً من سطح الماء . ومن حيث الملوحة ، تتراوح نسبة الملوحة التي يمكن أن يتحملها المرجان

ما بين ٢٧ إلى ٤٠ في الألف . وأكثرها مثالية لنموه تتراوح ما بين ٣٤٪ و ٣٦٪ . ويؤدي انخفاض نسبة الملوحة بسبب ما تصبه الأنهار والسيول من مياه عذبة في العديد من السواحل إلى إعاقة النمو المرجاني ، وبالتالي ضمور وانقطاع الأطر والحواجز المرجانية ، كما هو الحال أمام الساحل المصري على البحر الأحمر ، حيث تظهر ثغرات بالإطار المرجاني عادة ما تكون عند مصبات الأودية القادمة من جبال البحر الأحمر[٤] .

ويلزم لنمو المرجان أن تكون المياه في تحرك مستمر ، وهذا له أهميته في المحافظة على درجة الحرارة متجانسة في البيئة المرجانية ، ومنع تراكم الطمي وتوفير العوالق البحرية (البلانكتون) الذي يتغذى عليه المرجان ، وكذلك توفير غاز الأكسجين لتنفسه ، خاصة في أثناء الليل حيث يقل بسبب تنفس الطحالب . لذلك يزدهر نمو المرجان في العادة على الشواطئ البحرية التي تتعرض لتلاطم الأمواج ، وتأثير المد والتيارات البحرية الدافئة . في حين يتعذر على المرجان أن ينمو قرب الأنهار أو الأودية التي تصب على البحر وترسب كميات كبيرة من الطمي [٥] .

ومن حيث الأساس الذي ينمو فوقه المرجان ، فإن المرجان عادة ما يبدأ نموه فوق قاعدة صخرية تتميز بنعومتها ، كما أنه قد ينمو فوق رصيف حصوي أو فوق رواسب ناعمة ، ويصعب نموه فوق رواسب متحركة ، لذلك تلعب الحواجز الرملية دورها في اختفاء المرجان من السواحل الغربية لإفريقيا وأستراليا وأمريكا . كما أن عملية التقليب الرأسي للماء «Upmelling » في أجزاء كثيرة من تلك السواحل ، أدت إلى اختفاء المرجان . كما عملت الرمال المتحركة بفعل الأمواج المحيطية على عرقلة النمو المرجاني واختفائه .

إن البيئة الملائمة لنمو وتكاثر المرجان تتوافر في المياه الدافئة الاستوائية والمدارية بين خطي عرض ٣٠ شمالاً و٢٥ جنوباً وتوجد هذه المياه في المحيطين الهندي والهادي وفي البحر المتوسط وفي مياه شواطئ فلوريدا وفي البحر الأحمر والخليج العربي . وبالقرب من خليج المكسيك وجزر الهند الغربية [٦] .

أشكال الشعب المرجانية :

توجد ثلاثة أنماط شهيرة للشعب المرجانية هي :

- الشعب الساحلية Coastal Reef Eringing :

وتعد أبسط أشكال الشعب المرجانية وأكثرها انتشاراً . حيث توجد في كافة مناطق المرجان في العالم . وتمتد على الشاطئ أو على مقربة منه ، وتنمو إلى أعلى رأسياً وأفقياً تجاه البحر ، وتبدو كرصيف مرجاني يظهر خلال الجزر يشبه كثيراً الأرصفة الشاطئية الممتدة أمام سواحل الجروف الجيرية . ونظراً لقربها من سطح الماء ، فإنها تشكل خطراً على الملاحة . توجد هذه الشعب على شواطئ البحر الأحمر وخليج السويس ، كما توجد على الساحل الأسترالي الشمالي خاصة شواطئ جزيرة أرنم وحول جزيرة دارون وما بين هولاند والرأس الشمالي الغربي .

- حواجز الشعب المرجانية Coral Reef Barriers :

وهي تشبه الشعب الساحلية من حيث تكوينها وشكلها العام ، إلا أنها تختلف عنها من حيث الموقع ، وذلك لأنها تقع غالباً على بعد عدة أميال من خط الساحل ، وقد تنفصل عن الساحل بالمستنقعات الضحلة . من أشهرها الحاجز المرجاني الكبير في شمال شرق أستراليا [٧]، الذي يمتد بمحاذاة الشاطئ



قد يتسبب بعض الغواصين في تحطيم جانب من الشعب المرجانية.



نوع رقيق من أنواع المرجان التي تتحمل التيارات القوية وأشعة الشمس الضعيفة.

الشرقي لكوينزلاند على شكل سلسلة عظيمة من الصخور المرجانية يبلغ طولها ٢٠٠٠ كيلو متر تقريباً وعرضها نحو ٨٥٠ كيلومتراً .

الشعب المرجانية هي صخور جيرية من أصل عضوي.

– الشعب الحلقية Atolls :

تبدو على شكل جزر بيضاوية الشكل على هيئة حدوة الحصان أو قريبة من الشكل الدائري . ترتفع قليلاً فوق سطح الماء ، وتتصل مع مياه البحر بفتحات ضيقة ضحلة يرتفع فيها منسوب المياه أو ينخفض تبعاً لما تتعرض له الجزيرة من هبوط تدريجي. ومن أهم مشكلات الحياة فوق هذه الجزر ، عدم توفر المياه الصالحة للشرب بسبب نفاذية الصخور الشديدة وملوحتها وتسرب مياه البحر المالحة إليها . غير أن أشجار المانغروف تنمو على أطراف الجزيرة بسبب توفر بعض المواد الطينية والرملية التي تجلبها الأمواج البحرية أو المواد العضوية [٨]. وتنتشر الحلقات المرجانية في المحيطين الهندي والهادي .



فوائد الشعب المرجانية

إن أهمية الشعب المرجانية تتعدى كونها هياكل كلسية جميلة المنظر تسر الغواصين والسائحين . فصخورها الصلبة تعمل كحاجز يحمي السواحل من التأثير العنيف للأمواج ، وهي بمثابة خط دفاعي طبيعي عن السواحل البحرية ، كما أنها توفر للسفن مرفأ آمناً ، وهي أيضاً بيئة لتكاثر الكائنات البحرية خاصة الصدفيات والقشريات (كالربيان) وشوكيات الجلد (كنجم البحر وقنفذ البحر) ، كما تجد الأسماك في مخابئ الشعب المرجانية مكاناً تبيت فيه وملاذاً تحتمي به من الأعداء ، وتجد أيضاً الغذاء في الطحالب والعوالق والأحياء البحرية الصغيرة حول منطقة الشعب المرجانية. وعندما اكتشف علماء البحار هذه الحقيقة شرعوا عام ١٩٣٠م وفي الأعوام التالية في الولايات المتحدة ثم اليابان بمحاولة بناء شعب اصطناعية من الصخور الضخمة وهياكل السيارات وحطام السفن الغارقة [٩] .

وتمثل الشعب المرجانية فرصة جيدة للاستثمار السياحي ، وذلك لكونها مناظر طبيعية خلابة ذات تشكيلة رائعة من الألوان الطبيعية التي تسبح فيها الأسماك من مختلف الأنواع .

ويكفي أن نذكر أن الإيرادات السياحية التي تحققها الشعب المرجانية في المياه البحرية لجزيرة فلوريدا الأمريكية تصل إلى حوالي نصف بليون دولار [١٠] .

وتعد الشعب المرجانية مصدر إمداد بالمرجان الصلب والمرجان الثمين والقواقع، التي تستخدم في الصباغة وصناعة الحلي وأدوات الزينة [١١] .

ومن المحتمل أن تحتوي مناطق الشعب المرجانية على النفط ، لأن الشعب تفرزها حيوانات بحرية حية ، وتعيش فيها وحولها كميات كثيرة من الأسماك وحيوانات بحرية أخرى ، حيث تتكاثر وتموت تاركة بقاياها . وبمرور السنين، ومع التفاعل الجيولوجي والبيولوجي ، يحتمل أن يتكون البترول في أعماق الشعب المرجانية . وتجرى الآن الدراسات والبحوث للتحقق من هذا الأمر.

وأخيراً فإن الشعب المرجانية شأنها شأن الغابات الاستوائية التي غالباً ما تقارن بها، تعد بمثابة مستودعات بيولوجية ضخمة مرشحة لاستخدامات طبية وصناعية عديدة .

المياه الملوثة أكبر خطر يواجه الشعب المرجانية :

يساهم البشر في مختلف أنحاء العالم بدءاً من خليج المكسيك حتى بحر شمال الصين في تدمير الشعب المرجانية بوسائل عدة منها: الصيد باستخدام « السيانيد » وعمليات الحفر ورفع الأوحال من الموانئ والممرات المائية ، وإزالة الغابات، والمشروعات الصناعية على السواحل ، أضف إلى ذلك أن هناك بعض الغواصين المستهترين ، الذين يسيئون التعامل مع الشعب المرجانية ، كما تؤدي حوادث بعض السفن إلى تحطيم أجزاء منها ، على نحو ما حدث للسفينة المصرية «سالم إكسبريس» في سنة ١٩٩١م ، بسبب جنوحها إلى منطقة شعب مرجانية قرب ميناء سفاجة.

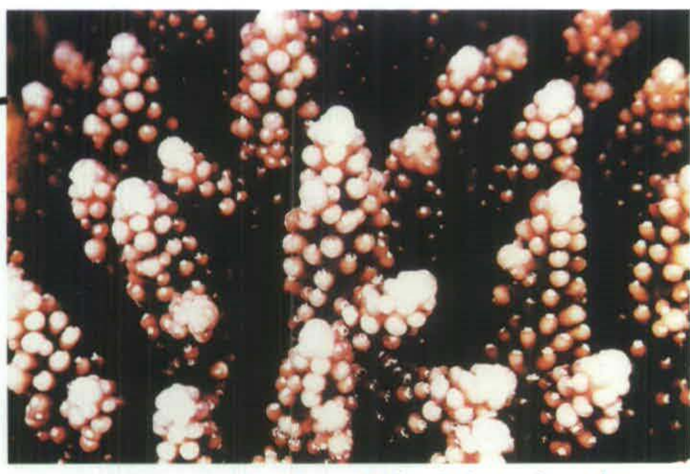
ومن عوامل تدهور الشعب المرجانية أيضاً ما تصبه مياه المجاري ومصارف الأراضي الزراعية من مياه ملوثة مما يسبب الإخلال بالتوازن القائم بين المرجان والطحالب لصالح الأخيرة .

ففي خليج «كينوهي» تنمو الطحالب بشكل سريع في الصخور المرجانية ، وقد تضاعفت أعدادها عشرات المرات بفضل المادة المغذية الموجودة في مياه المجاري . وبسبب انعدام الضوء والأكسجين والطعام ، نفقت الحيوانات البحرية المرجانية القابعة أسفل الطحالب (١٢) .

وفي الفلبين تكثر عمليات إزالة الغابات ورش المزروعات بالأسمدة الفوسفاتية والآزوتية ، التي تنقل بذورها مع حبيبات التربة المنجرفة إلى الأنهار ثم إلى البحر مكونة شكلاً طينياً يشبه جريدة النخل ، تمتد مئات الكيلومترات في المحيط. ونظراً لأن هذه المياه الغنية بالنتروجين تغمر الشعب المرجانية ، فإنها تشجع نمو وتكاثر الدياتومات البحرية المجهرية والطحالب ، والسوطيات التي تتغذى عليها الحيوانات التي تعيش داخل الشعب مثل نجم البحر ذو التاج الشوكي. وقد لوحظ في السنوات الأخيرة أن جحافل «نجم البحر»، التي تفترس الحيوانات المرجانية قد غطت الحاجز المرجاني العظيم باستراليا (١٣) .

ومن ناحية أخرى ، فإن تراكم الرواسب الطينية بكميات كبيرة وبصورة سريعة يؤدي إلى هلاك يرقات المرجان . خاصة في مراحل نموها الأولى . ولذلك نجد العديد من السواحل المدارية تختفي من أمامها التكوينات المرجانية بسبب عمليات الإرساب البحرية والنهرية ، مثلما هو الحال في غرب إفريقيا وشمال البرازيل (حيث مصب الأمازون) وفي خليج المكسيك (١٤) .

وبالإضافة إلى دور العنصر البشري في تلويث بيئة الشعب المرجانية ، فإن هناك عوامل طبيعية لها تأثير سيء على هذه الشعب تتمثل في العواصف المدارية وانتشار نجوم البحر ذات التاج الشوكي Crown-of-Thorns Starfish وانخفاض الملوحة .



تضم بيئة الشعب المرجانية طحالب وكائنات بحرية عديدة.

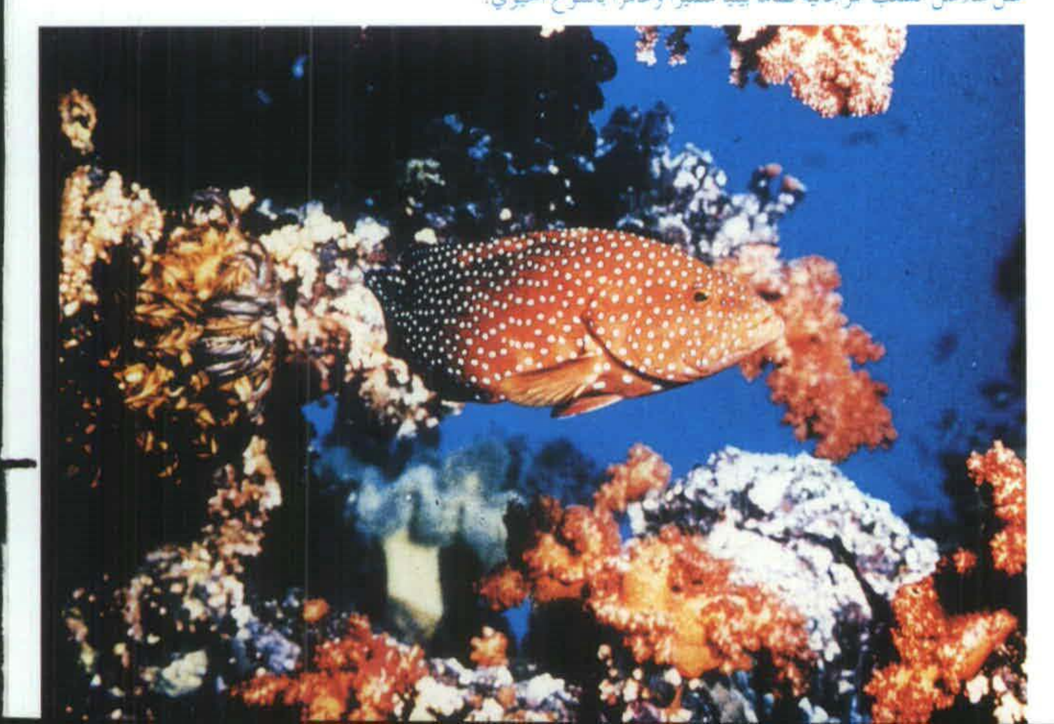
ومن الأمراض التي أصابت الشعب المرجانية نتيجة لتلوث المياه ، مرض الابيضاض Bleaching الذي أدى إلى تلون الشعب في المحيط الهادي وأجزاء من البحر الكاريبي باللون الأبيض. ويفسر العلماء هذه الظاهرة بأنها نتيجة للضغوط الشديدة التي تتعرض لها المرجانيات من جراء التلوث مما يجعلها تتخلص من الكائنات المجهرية وحيدة الخلية Zooxanthellae لأن هذه الكائنات هي التي تمد مستعمرات المرجان بالألوان ، ويؤدي فقدانها إلى تحول المستعمرات إلى اللون الأبيض .

وفي سنة ١٩٩٣م أدى مرض الابيضاض إلى موت ٩٥٪ من المرجانيات التي تقع قبالة جزر غلاباقوس في المحيط الهادي . ويخشى العلماء أن يتزايد مرض الابيضاض مع تزايد ارتفاع درجات الحرارة العالمية .

كما يشيرون إلى أن تناقص الشعب المرجانية في محيطات العالم لن يفضي فوراً إلى هلاك الحيوانات المرجانية التي تبنيها ، إذ أن كثيراً من هذه الحيوانات تفقس بالجملة حيث تطلق كميات كبيرة جداً من البيض المخصب الذي تحمله تيارات المحيط إلى أماكن تمتد إلى مئات الكيلومترات. وهذه هي دورة الحياة الطبيعية للمرجانيات ، فما أن يموت أحدها حتى يحل محله آخر . ولكن الإنسان بتلويثه لمياه المحيطات والبحار يخرب هذه الدورة ، مما يسبب تناقص أعداد المرجانيات ربما إلى حد الإنقراض . ففي « بيرمودا » تبين أن عدداً من المرجانيات ظل حيّاً



تمثل سلاسل الشعب المرجانية نظاماً بيئياً متميزاً وعامراً بالتنوع الحيوي.





مرجان متشكل على هيئة فطر.

إحدى الشعب المرجانية.

من بين مجموعات كبيرة من هذا الحيوان كانت قد نفقت في عام ١٩٤١م بفعل الترسب الترابي الناجم عن رفع الوحل من قاع البحر.

ما هو السبيل لمنع تدهور الشعب المرجانية؟

إن التلوث الذي أضر بالشعب المرجانية قد استنفر علماء البحار وحماة البيئة لتقديم توصياتهم ومقترحاتهم بشأن حماية هذه الثروة البحرية العظيمة، من خلال الحد من تلويث مياه البحار والمحيطات والمحافظة على التوازن الفطري في البيئة البحرية. ومن دون ذلك، فإن الشعب المرجانية ستنقرض تدريجياً. ووفقاً لتقديرات بعض الخبراء، أن ١٠٪ من إجمالي الشعب الموجودة في العالم قد أصيب إصابات مميتة، وحوالي ٣٠٪ وضعها حرج للغاية وربما تموت خلال العشر أو العشرين سنة القادمة، و٣٠٪ أخرى هي التي يهددها التلوث. وفيما يلي أهم التدابير الواجب اتخاذها لإنقاذ الشعب المرجانية.

- تجنب عمليات إزالة الغابات، خاصة على الشواطئ الاستوائية، للحيلولة دون تعرية التربة، وانجرافها مع مياه الأمطار إلى مواطن معيشة الحيوانات البحرية المرجانية.

- معالجة مياه المجاري قبل صرفها في البحار.

- التقليل من استخدام الأسمدة الآزوتية والفوسفاتية في الزراعة، والتوسع في استخدام الأسمدة العضوية.

- تجنب الإسراف في صيد الأسماك، لأن الصيد الجائر يخل بالتوازن الدقيق بين شعب مرجانية بحالة جيدة، وأخرى تسيطر عليها طحالب كبيرة يمكنها أن تغطي المرجانيات وتعوق نمو صغار المرجان [١٥].

- دراسة الجدوى البيئية للمشروعات الاقتصادية التي تقام في المناطق الساحلية كالقرى السياحية والمصافي بحيث لا يترتب على إقامتها تلويث شواطئ البحار.

- العمل على تنمية الوعي البيئي لدى الناس وتثقيفهم بيئياً، ليحسنوا التعامل مع عناصر الطبيعة وكائناتها، وتبصيرهم بأهمية الشعب المرجانية وخطر انقراضها.

- وضع التشريعات الدولية الخاصة بمكافحة تلوث مياه البحار موضع التنفيذ، وتشكيل الأجهزة التي تسهر على تنفيذها.

- تنظيم حملات لأنصار البيئة من الطلاب وغيرهم لإزالة النفايات من مناطق الشعب المرجانية. وكنموذج يحتذى لهذه الحملات، قامت كلية علوم البحار بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة في شهر أكتوبر من العام الحالي بحملة شارك فيها ستون غواصاً من طلبة الكلية لتنظيف شواطئ منطقة أبحر شمال جدة وانتزاع النفايات من مياهها واستعانوا في ذلك برافعة. وأزالوا كافة المخلفات من مناطق الشعب المرجانية [١٦]. ■

المراجــع:

١ – Time, Vol, 148, 28 October, 1996
٢ – د. جودة حسنين جودة، جغرافية البحار والمحيطات، منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٩٠م.
٣ – د. محمد صبري محسوب سليم، جيومورفلوجية السواحل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١م.
٤ – المصدر السابق.
٥ – د. محمد أحمد الرويثي، د. أحمد عبدالقادر المهندس، البحر الأحمر وشعبه المرجانية، مجلة الدارة، العدد ٤، أبريل ١٩٨٤م.
٦ – د. أحمد زكي، في سبيل موسوعة علمية، دار الشروق، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٢م.
٧ – د. حسن سيد أحمد أبوالعينين، جغرافية البحار والمحيطات – الأوقيانوغرافيا، مؤسسة الثقافة الجامعية، الطبعة السادسة، الاسكندرية ١٩٨٢م.
٨ – مجلة الفيصل، العدد ٦٧، نوفمبر ١٩٨٢م.
٩ – د. أحمد محمد غندور، هل تصلح نجمة البحر خطيئة الشعب المرجانية في سواكن؟، مجلة العربي، العدد ٢٣٦، يولية ١٩٧٨م.
١٠ – مجدي محمد عيسى، نحو تصور علمي لإنقاذ الحياة الفطرية، مجلة القافلة، المجلد الرابع والأربعون، العدد الأول، يونيو ١٩٩٥م.
١١ – د. فهمي حسن أمين العلي، الآثار البيئية لغزو الكويت، مطابع القوات المسلحة السعودية، الطبعة الأولى، الرياض ١٩٩٥م.
١٢ – سميرة جيوسي، خطر الفناء يهدد جنة الحيوانات المرجانية البحرية، مجلة العربي، العدد ٢٤٤، مارس ١٩٧٩م.
١٣ – مجلة Time، مصدر سبق ذكره.
١٤ – المصدر السابق.
١٥ – محمد عاطف جزماتي، الشعب المرجانية والتنوع البيولوجي، مجلة المعلومات، العدد ٤٤، مايو ١٩٩٦م.
١٦ – جريدة البلاد، العدد (١٤٧٣١)، ٢٧ أكتوبر ١٩٩٦م.

• صور المقال: أرامكو السعودية

التنمية المستديمة

سرابٌ أم حلمٌ قابل للتحقيق !!

بقلم : د. محمد عاطف كشك - مصر

يسود استعمال مصطلح التنمية المستديمة معظم الكتابات الحديثة في أدبيات التنمية والبيئة . والتنمية المستديمة أو المتواصلة هي مرادفات تستعمل في اللغة العربية لتدل على مصطلح Sustainable Development المستخدم في الإنجليزية . ودون الدخول في الاشتقاق اللغوي للمصطلح ، فإن المقصود به هو تنمية الموارد والمجتمعات بشكل يحقق أكبر منفعة أو عائد للأجيال الحالية مع المحافظة على تلك الموارد للأجيال القادمة .

رغم أن مصطلح التنمية المستديمة يبدو جديداً حيث شاع استعماله بكثرة ، بعد انعقاد مؤتمر قمة الأرض عن التنمية والبيئة في ريودي جانيرو في البرازيل عام ١٩٩٢م، إلا أن المعنى المقصود قديم نسبياً، فمنذ بدأ تصاعد الاهتمام العالمي بمشكلات البيئة ، كانت العلاقة بين البيئة والتنمية واضحة إلى حد كبير . فقد صدر في عام ١٩٧٢م التقرير الشهير عن «نادي روما» بعنوان «حدود النمو - The Limits to Growth» وكان يدعو صراحة إلى وقف التنمية في العالم للحفاظ على البيئة وصيانة الموارد الطبيعية حتى لاتتدهور أو تستنفد . وقد قوبل تقرير «نادي روما» بالرفض والاستنكار من معظم الدول النامية باعتباره استراتيجية غربية ضد التنمية في دول العالم الثالث ، وكانت وجهة النظر الرافضة لمحتوى التقرير تقول أن التنمية ضرورة ملحة لتلبية المتطلبات الأساسية للعدد المتنامي من سكان دول العالم الثالث ، وأنه يمكن تحقيقها مع المحافظة على البيئة في نفس الوقت باتخاذ تدابير احتياطية مناسبة ، بل إن تحسين البيئة في الدول الفقيرة يحتاج إلى الإسراع بالتنمية لا وقفها . وعند مناقشة هذه القضية في أول مؤتمر عالمي يتناول مشاكل البيئة ، وهو مؤتمر الأمم المتحدة عن البيئة الإنسانية في ستوكهولم ١٩٧٢م ، استحدث مصطلح «التنمية البيئية - Eco-development» للدلالة على التنمية التي تراعي المحافظة على الموارد لأجيال المستقبل، ولأن المصطلح كان غامضاً بعض الشيء ، فقد تم استخدام مصطلح أكثر وضوحاً وهو « التنمية مع المحافظة على



لاتقل مساحة الغابات التي تقطع سنوياً عن ٤٠ مليون هكتار .

البيئة » في السنوات التالية لمؤتمر ستوكهولم ، والمصطلحان يشيران إلى نفس المعنى الذي يشير إليه مصطلح « التنمية المستديمة » .

إن الذي يعنينا الآن أكثر هو مناقشة إمكانية تحقيق التنمية المستديمة . فلاشك أن المعاني التي يشير إليها المصطلح أو غيرها من المصطلحات السابقة، معانٍ نبيلة لا يختلف عليها أحد فكل المجتمعات سواء أكانت متقدمة أم متخلفة ترغب في إحداث تنمية سريعة تحقق الرخاء والسعادة لأفرادها، كما أنها ترغب في المحافظة على مواردها للأجيال القادمة . ومضمون التنمية المستديمة يحتوي على بعض المعاني الفلسفية والإنسانية التي تحظى بكل تقدير – على الأقل نظرياً – من كل الأفراد والحكومات والمجتمعات ، ومن بين هذه المعاني نذكر مثلين :



ضرورة تعديل النظام الاقتصادي الدولي بما يحقق التنمية العادلة والمستديمة للمجتمعات البشرية كافة.

التنمية المستديمة تشير إلى أن الموارد الطبيعية المتاحة لنا الآن ، ليست ملكاً لنا وحدنا ، فقد تركها لنا الآباء والأجداد وتقع علينا مسؤولية تركها لأولادنا وأحفادنا في حالة جيدة ، وإذا لم نستطع أن نحسن استغلالها فلا يجب أن نتسبب في تدهورها وتدميرها .

والتنمية المستديمة بهذا المعنى تتضمن تحيزاً لأجيال المستقبل ، وهو تحيز مرغوب، فأجيال الحاضر تستطيع أن تعبر عن نفسها بحيث تمد يدها فتأخذ ما تريده أو ما تحتاج إليه . أما أجيال المستقبل فهي لم توجد بعد ولذلك فليس لها صوت مسموع في توجيه السياسات والقرارات الخاصة بطرق استعمال الموارد ، ومن المأمول أن يخرج من تلك الأجيال من يملك رؤية مستقبلية لينطق باسمها ، ويعبر عن مصالحها في نظم اتخاذ القرارات بخصوص استعمال وصيانة الموارد .

غير أن من يعبرون عن أجيال المستقبل يعانون بعض المصاعب ، ففي حالات كثيرة يكون هناك تناقض أو تعارض بين مصالح الأجيال الحالية ومصالح أجيال المستقبل ، والتحيز معناه العملي تنازل الجيل الحالي عن بعض مصالحه أو احتياجاته أو ما يسميه البعض أحياناً « مطامعه » حتى يترك لأجيال المستقبل ما يحقق مصالحهم أو يكفيهم .

من الناحية النظرية لا يوجد خلاف على ذلك، ولكن من الناحية العملية هناك حالات كثيرة تدعو إلى الشك في إمكانية تحقيق التنمية المستديمة، وقد عبر عنه رئيس وزراء زيمبابوي « روبرت موجابي » في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة خاصة عقدت لمناقشة قضايا البيئة في عام ١٩٨٧م عندما قال « إن الفقراء لايستطيعون ممارسة ترف اختيار أن يموتوا اليوم لكي يحيوا حياة أفضل غداً » .

أي أن التنمية المستديمة أحياناً مجرد وهم أو سراب لا يمكن تحقيقه عملياً ، لأنها ببساطة تطلب من الأجيال الحالية التنازل عن كثير من احتياجاتهم لتوفير متطلبات أجيال المستقبل ، وبالنسبة لعدد كبير جداً من سكان العالم حالياً فإن ذلك مستحيل تماماً ، لأنهم لا يملكون أصلاً ما يسد احتياجاتهم الدنيا ، فضلاً عن أن يتنازلوا عن جزء منها . إن تنازلهم ولو عن جزء يسير يعني لهم حرفياً الموت . والأغنياء والمترفون أنفسهم لا يقبلون في معظم

الأحيان أن يتنازلوا عن جزء من رفاهيتهم، فكيف نطلب من الفقراء والمعدمين أن يتنازلوا عن جزء لا يملكونه !!

ولتوضيح الصورة بجانبيها المختلفين نورد بعض الشواهد :

قطع الغابات :

يتم سنوياً قطع الغابات الاستوائية في مساحات لا تقل عن ٤٠ مليون هكتار . وقد تم التنبيه منذ فترة طويلة نسبياً إلى أخطار هذا العبث الانساني المدمر . فهو يسبب تدهوراً خطيراً في البيئة المحلية والعالمية لما ينتج عنه من انجراف التربة في مناطق قطع الغابات وما يترتب عليه من تغيرات مناخية عالمية تساهم في نشر الجفاف والتصحر في مناطق شاسعة من العالم، كما تتسبب في رفع نسبة ثاني أكسيد الكربون، وما يتبعه من ارتفاع حرارة الغلاف الجوي ثم انصهار جليد القطبين ومن ثم غرق مساحات كبيرة من الأراضي المنخفضة ... الخ . هذه الآثار معروفة، وهذا النوع من النشاط الإنساني فيه جور شديد على متطلبات أجيال المستقبل، ولكن ماذا تستطيع أن تفعل كل صيحات التحذير والشجب وكل الجهود الرامية إلى وقف مذابح الأشجار ؟ نحن هنا إزاء موقف نجد فيه أكثر من ١٥٠٠ مليون من سكان العالم، ليس لهم أي مصدر للطاقة اللازمة لإعداد أبسط أنواع الطعام أو تسخين المياه إلا أخشاب الوقود . إن الأم التي تجد أطفالها جائعين تسعى حثيثاً لجمع بعض فروع الأشجار لتعد لهم وجبة سريعة، يردّون بها غائلة الجوع . فهل نستطيع أن نطالب هذه الأم بأن تكف عن هذا العمل للمحافظة على الموارد لأجيال المستقبل . والأب المسؤول عن إطعام أفراد الأسرة هل نستطيع أن نطالبه بالتوقف عن قطع الأشجار لزراعة بعض عيدان الذرة مكانها؟ إن العالم إذا لم يوفر لهؤلاء الناس موارد بديلة ورخيصة للطاقة والغذاء، فإن مطالبتنا لهم بالكف عن قطع الأشجار هو مجرد عبث غير منطقي لا طائل من ورائه . والتاريخ القريب يثبت ذلك، فقد كانت النساء اللاتي

يعتمد ١٥٠٠ مليون نسمة، من سكان الأرض، على الأخشاب كمصدر وحيد للطاقة.





يجب أن تراعي «قوانين البيئة» المتطلبات المعيشية اليومية للسكان.

تنمية وتطوير الصناعة ، وهي عندما تفعل ذلك تواجه كثيراً من المعوقات التي يتم تسويغها باسم حماية البيئة وتقليل مخاطر التلوث . ومعظم هذه الدول – نظراً لنقص مواردها المالية – لا تستطيع اتخاذ كل التدابير اللازمة لتقليل التلوث أو منعه لتكلفته العالية ، فهي لو أرادت ذلك فستكون تكلفة السلع الناتجة عالية جداً لدرجة تعوق معظم السكان عن شرائها ، كما أنها لن تستطيع المنافسة في السوق العالمية ، ولسان حال المسؤولين والسكان في هذه الدول يقول : «مرحباً بالتلوث إذا كان هذا يتيح لنا سلعاً رخيصة نستطيع شراءها ، ويساهم في رفع مستوى معيشتنا».

تدهور الموارد الأرضية :

يقوم مئات الملايين من صغار المزارعين في العالم بزراعة مساحات ضئيلة من الأرض ، لتأمين الطعام لأسرهم فيما يعرف بزراعة الكفاف ، وهؤلاء المزارعون هم أكثر الناس دراية بقيمة الأرض التي يزرعونها ، وبأنها مصدر الطعام لأطفالهم المتزايدين ، ولكنهم في الوقت نفسه مضطرون للضغط على الأرض واستنزافها لأنهم في الواقع يطلبون منها أكثر مما تستطيع أن تعطي ، فهم في الغالب يزرعون أراضي هامشية قليلة الإنتاج ، والضغط عليها يتسبب في تدهورها بشدة ويجعلها عرضة للتصحر والبوار . هل نستطيع أن نطلب من مثل هؤلاء المزارعين أن يتركوا أطفالهم جياعاً للمحافظة على الموارد الأرضية النادرة للأجيال القادمة ؟! هذا أيضاً تجريد عبثي غير مقبول .

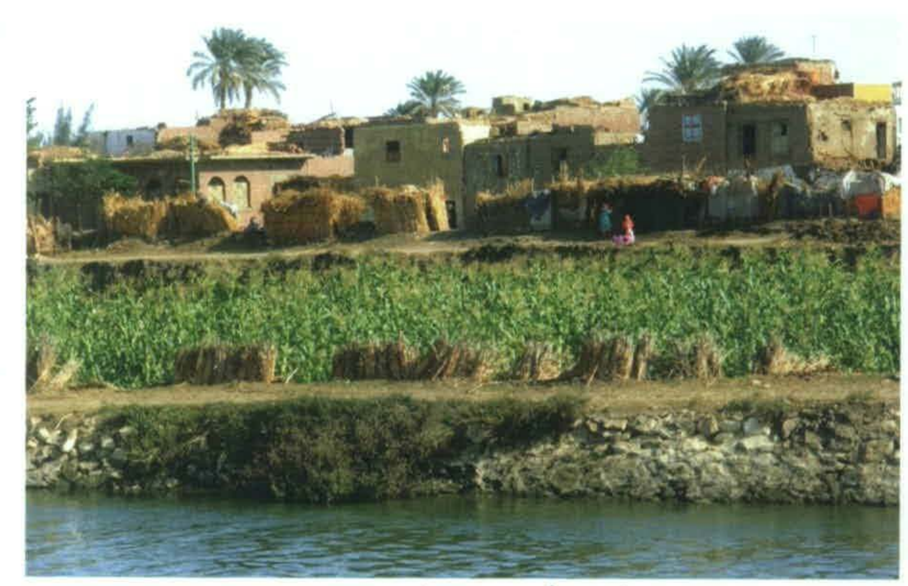
يجمعن الحطب في بعض الدول الأفريقية، يسرن يومياً عدة ساعات لجمع الوقود اللازم لليوم التالي ، ونظراً لتناقص الأشجار فعليهن الآن أن يقطعن مسيرة يوم أو يومين لجمع ما يكفي حاجة البيت اليومية من الوقود . لقد كثرت الجهود العالمية في الآونة الأخيرة لوقف مذابح الأشجار في الغابات الاستوائية ، إلا أن الغابات ما زالت تقطع وربما بمعدلات أكبر والكوارث البيئية الناتجة عنها مازالت تتفاقم .

تلويث الهواء :

تعد الدول الصناعية المتقدمة في الشمال، أكثر دول العالم تلويثاً للهواء ، وما يتبعه من تدهور بيئي ، وهو يشمل زيادة تساقط الأمطار الحمضية وظاهرة غازات البيوت الزجاجية وتآكل طبقة الأوزون ، فضلاً عن الأضرار التي تهدّد صحة الإنسان. والدول النامية تحاول أن تلحق بركب التصنيع وتسعى إلى الارتفاع بمستوى معيشة سكانها بكل السبل، ومنها

استنزاف الأرض الزراعية يتسبب في تدهورها وجعلها عرضة للتصحر والبوار.





التوسع العشوائي في المدن والقرى يكون غالباً على حساب الأرض الزراعية في دول العالم النامي.

ومثل هذه الأمثلة تتكرر في حالات أخرى كثيرة، مثل استنزاف الموارد المائية وصيد الحيوانات والطيور النادرة المهددة بالانقراض، والتوسع العشوائي في المدن والقرى. ويحضرني في هذا الشأن مثل طريف من مصر، فقد صدر في أوائل عام ١٩٩٤م قانون البيئة، وهو قانون لا بأس به يهدف إلى إحداث التنمية المستديمة وحماية البيئة، ويتضمن مثلاً سحب تراخيص السيارات والمركبات القديمة التي تسير في الشوارع والطرقات وتطلق عوادمها دخاناً أكثر من المسموح به، وعند التفكير في تطبيق القانون وجد أن أكثر من نصف السيارات والمركبات سوف تسحب تراخيصها، وبذلك تتضاعف تكلفة نقل السلع والأفراد بما يفوق طاقة معظم المستهلكين، ولهذا تم تجاهل تطبيق هذه المادة من القانون لحين تغير الظروف. ومثل آخر

تحسين البيئة في الدول الفقيرة يحتاج إلى التسريع بالتنمية لا وقفها.

مشابه وهو أن القانون يجرم إزالة الطبقة السطحية من الأرض لصنع الطوب أو البناء على الأراضي الزراعية، ويعاقب على هذا العمل بالغرامة المالية والحبس. ولكن هذه الممارسات الخاطئة مستمرة كل يوم لعدم وجود بدائل أمام الناس، وعندما تصل هذه الحالات للمحاكم فإنها تحفظ في العادة لعدم اقتناع القاضي بضرورة حبس مزارع بنى لأولاده كوخاً صغيراً على الأرض المخصصة للزراعة، في الوقت الذي تشيّد فيه المباني الحكومية على نفس هذه الأراضي. فقد وجد مثلاً أن حوالي ٨٠٪ من المباني الجديدة المقامة على أرض زراعية هي مبانٍ حكومية مثل المدارس والجامعات والمستشفيات والطرق والمطارات وغيرها، وهي بالطبع مبانٍ ضرورية لإحداث التنمية وتوفير الحاجات الأساسية للمواطنين، ولكن حاجة الأفراد البسطاء لبناء مساكن لهم ولأولادهم ليست أقل ضرورة.

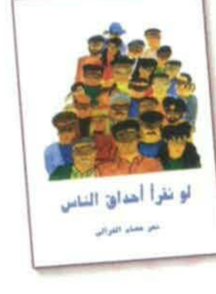
هذه هي بعض الأمثلة التي تبين صعوبة أو استحالة التنمية المستديمة تحت الظروف التي يعيش فيها عدد كبير من سكان العالم اليوم، رغم أن الفكرة نبيلة والقصد شريف ولسان حال هؤلاء الناس يقول: إذا أردتم منا أن نحافظ على الموارد لأجيال المستقبل فيجب أولاً أن نشعر أنه سوف يكون لنا ولأولادنا مستقبل من نوع ما.

ولذلك فإن المجتمع الدولي والمجتمعات المحلية لن تنجح في تحقيق التنمية المستديمة إلا إذا وفرت لهؤلاء الناس بدائل مناسبة لإشباع حاجاتهم الأساسية في الحاضر، وبالتالي فإنهم سوف يحرصون تلقائياً على صيانة الموارد لأجيال المستقبل. ودون تحقيق هذا الشرط فإن الاستعمال المفرط لمصطلح التنمية المستديمة تحت سيادة ظروف الاستقطاب العالمي للثروة والقوة التي يفرضها النظام الاقتصادي الدولي يكون كالحق الذي أريد به باطل، ولايتحقق منه إلا زيادة معدلات الحرمان العام لسكان العالم الثالث من التمتع بالقليل الباقي لهم من خيرات مواردهم. ■

---

* صور المقال: مطابع التريكي

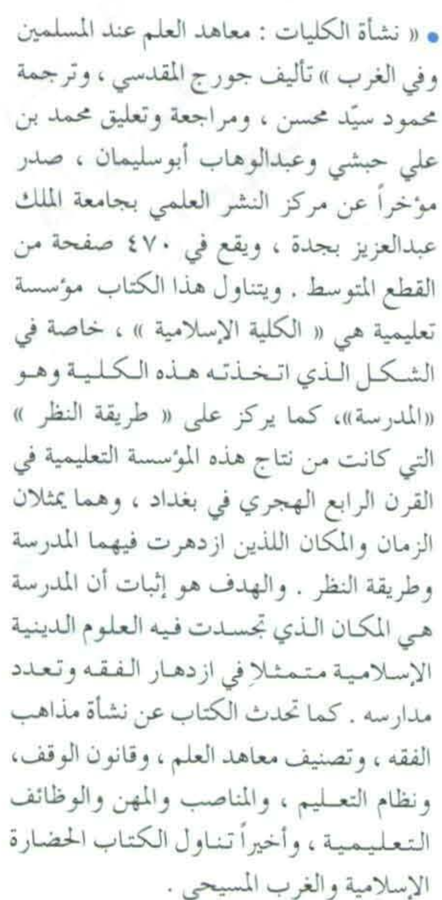
كتب مهداة

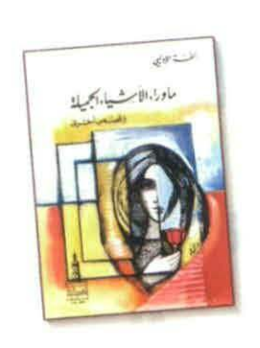
• « لو نقرأ أحداق الناس » مجموعة شعرية للمؤلف عصام الغزالي صدرت في ١١٠ صفحات ، تشتمل على مجموعة من القصائد التي كتبت في مناسبات وطنية مختلفة ، وجسّدت مشاعر الشاعر تجاه قضايا وطنه . وللشاعر ثلاث مجموعات شعرية أخرى ، كما أن له مجموعتان تحت الطبع .



• « عبدالقدوس الأنصاري من رواد الأدب والفكر العربي الإسلامي » من تأليف أكرم جميل قنبس ، ويقع الكتاب في ١٤٩ صفحة، وصدر عن دار الفرائد للطباعة والنشر بسورية. ويعالج فيه الكاتب مؤلفات الراحل عبدالقدوس الأنصاري الأدبية والتاريخية ، ويناقش دور مجلة « المنهل » الشهيرة في تنشيط حركة الفكر والأدب في الجزيرة العربية ، كما يناقش مؤلفات الأنصاري العديدة وخاصة روايته « التوأمان » ومجموعة كبيرة مما كتبه عن آثار وتاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدّة وغيرها .



• « توظيف العمالة المواطنة في القطاع الخاص .. المعوقات والحلول » كتاب من تأليف د. محمد عبدالله الغيث ، ومنصور عبدالعزيز المعشوق وصدر ضمن سلسلة بحوث معهد الإدارة العامة ، يقع الكتاب في ٤٣٠ صفحة ، ويعالج فيه الكاتبان الأبعاد الموضوعية لتدني نسبة توظيف العمالة الوطنية في القطاع الخاص، وذلك من خلال قراءات واستبيانات تطبيقية أجراها الكاتبان ، كما يقدم الكتاب بعض الحلول الملائمة لإدراج العمالة الوطنية محل العمالة الوافدة .



• « ما وراء الأشياء الجميلة » مجموعة قصصية للأديبة السورية ألفة الإدلبي ، صدرت عن دار إشبيلية للدراسات والتوزيع في ١١٠ صفحات من القطع المتوسط . تشتمل المجموعة على سبع قصص قصيرة تعالج فيها المؤلفة قضايا اجتماعية وبيئية بأسلوب شائق ووعي بقضايا بنات جنسها غير مشوب بالتحيز .



• « ليلة باسمة في حياة مي » لمؤلفه أحمد حسين الطماوي ، صدر ضمن « سلسلة المجهول من تراث الأعلام » عن دار الفرجاني، يقع الكتاب في ٢٨٤ صفحة من القطع المتوسط ، وهو عبارة عن دراسة أدبية يتناول فيها المؤلف حياة مي زيادة الأديبة والإنسانة ، كما يضم مقالات ورسائل وقصصاً لها لم تجمع في كتبها .



• « شمس الصباح البعيدة » مجموعة قصصية للكاتب المصري عبدالله خيرت، صدرت عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ، وهي المجموعة القصصية الثالثة للمؤلف، وتقع في ٨٨ صفحة من القطع الصغير . وتحتوي على سبع قصص ، تستمد معظم أحداثها من البيئة المحلية للكاتب، ومن حياة الناس اليومية وقد كتبت بلغة تزاوج بين الفصحى والعامية وتتسم بالمباشرة والتلقائية .

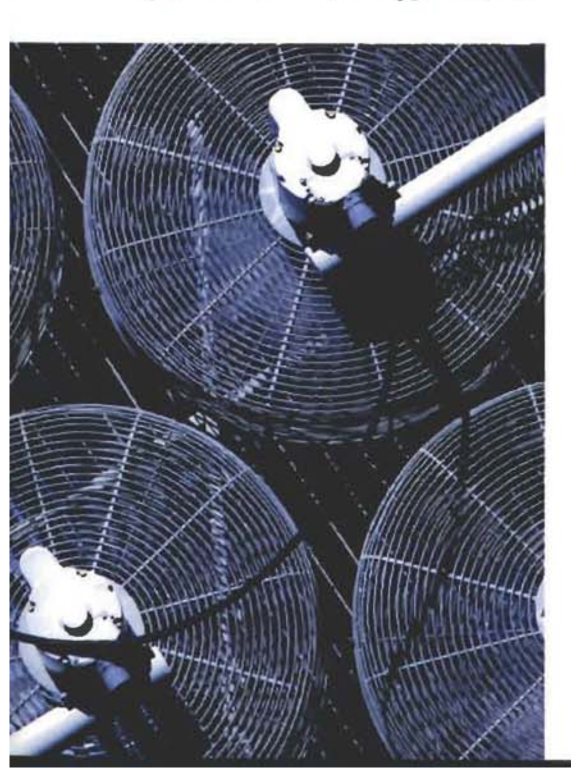


• « نشأة الكليات : معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب » تأليف جورج المقدسي ، وترجمة محمود سيّد محسن ، ومراجعة وتعليق محمد بن علي حبشي وعبدالوهاب أبوسليمان ، صدر مؤخراً عن مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، ويقع في ٤٧٠ صفحة من القطع المتوسط . ويتناول هذا الكتاب مؤسسة تعليمية هي « الكلية الإسلامية » ، خاصة في الشكل الذي اتخذته هذه الكلية وهو «المدرسة»، كما يركز على « طريقة النظر » التي كانت من نتاج هذه المؤسسة التعليمية في القرن الرابع الهجري في بغداد ، وهما يمثلان الزمان والمكان اللذين ازدهرت فيهما المدرسة وطريقة النظر . والهدف هو إثبات أن المدرسة هي المكان الذي تجسدت فيه العلوم الدينية الإسلامية متمثلاً في ازدهار الفقه وتعدد مدارسه . كما تحدث الكتاب عن نشأة مذاهب الفقه ، وتصنيف معاهد العلم ، وقانون الوقف، ونظام التعليم ، والمناصب والمهن والوظائف التعليمية ، وأخيراً تناول الكتاب الحضارة الإسلامية والغرب المسيحي .

السلامة الصناعية

بقلم : د. عبدالرزاق كامل – جدة

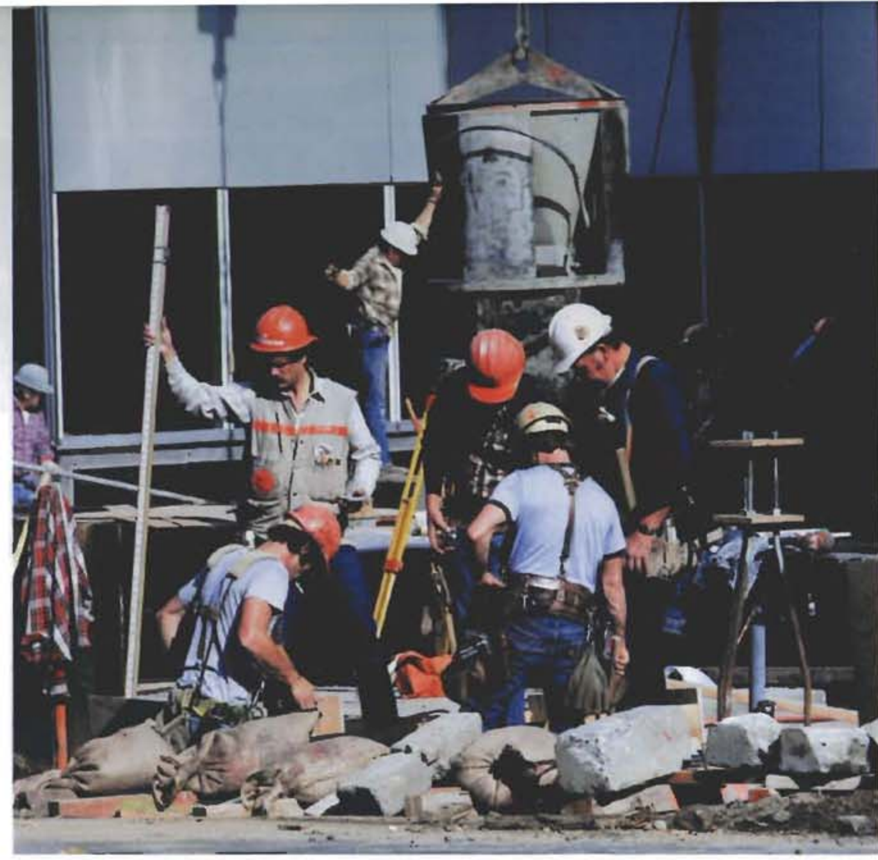
السلامة الصناعية موضوع له قدر كبير من الأهمية ، وهو لا يحظى بما يستحق من الاهتمام. فعندما يرغب أحدنا بإقامة مصنع ما ، فإنه من الطبيعي أن يفكر في تأمين الأرض ، والآلات والتجهيزات، والمواد الأولية والثانوية، وفي اختيار اليد العاملة بدءاً من الإدارة العليا والإ دارة الفنية وانتهاءً بالوظائف المساندة الأخرى . وغالباً ما ينسى المسؤولون عن المشروع أمر السلامة الصناعية ، لأنها لا تمثل بالنسبة لهم حاجة ملحة أو مطلباً آنياً . فإذا ما وقعت في المصنع إحدى الحوادث الفردية أو إحدى الكوارث الكبرى بدأت الأسئلة تتوارد عن قسم السلامة الصناعية أين هو ؟ وماذا كان بمقدوره أن يتخذ من تدابير ؟



كلما برز الحديث عن السلامة الصناعية عادت بي الذاكرة سريعاً إلى الوراء في الخمسينيات ، حينما كنت أقوم بجولتي التفقدية في أحد مصانع السكر، كنت وقتها في الدور الثالث من المصنع فسمعت استغاثة صادرة عن عاملة التنظيفات في الدور الأول، وقد أمسك دولاب مسنن بطرف ثوبها وأخذ يجذبها إليه . وبدا الموت فاغراً فاه يريد أن يبتلع هذه الموظفة المسكينة . وقيض الله سبحانه أحد العمال فأسرع إلى مفتاح الكهرباء الذي يدير هذا الدولاب ففصل التيار عنه قبل أن يطبق الفك المفترس على الفريسة .

كان هذا الحادث ، هو الحافز لي على الاهتمام بموضوع السلامة الصناعية ، وأن أضيف إلى المعرفة البسيطة التي حصلت عليها من خلال دراستي الجامعية ، معلومات نابعة من الواقع ومرتبطة به . فخلال السنوات الثلاثين التالية ، عايشت عشرات الحوادث وشهدت العديد من المآسي .

والسلامة الصناعية بمعناها الواسع هي اتخاذ التدابير اللازمة لتوفير شروط السلامة داخل المنشأة الصناعية ويشمل هذا :



تتطلب أعمال الخرسانة قدراً عالياًمن تدابير السلامة الوقائية.

- سلامة الأشخاص .
- سلامة الآلات والتجهيزات .
- سلامة المباني.
- سلامة المواد الأولية والمنتجات.
- سلامة الجوار .

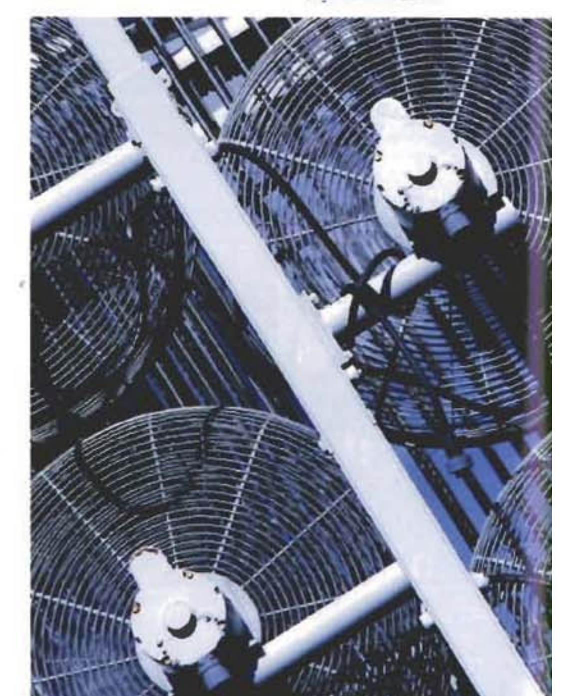
ففي الصناعة يكون الأشخاص معرضين للكثير من المخاطر نتيجة عدم تطبيق قواعد السلامة في المنشأة . وقد ينجم عن هذا تعرض بعض الموجودين في المصنع من مستخدمين ، أو عملاء ، أو زائرين لإصابة من الإصابات مثل الجروح أو الحروق أو بتر عضو من الأعضاء، أو كسور في العظام، أو الإنصعاق بالكهرباء أو الإصابة بمرض سريري أو جرثومي، أو التسمم بالغازات أو الإصابة بمرض عصبي لعدم الملاءمة مع العمل.

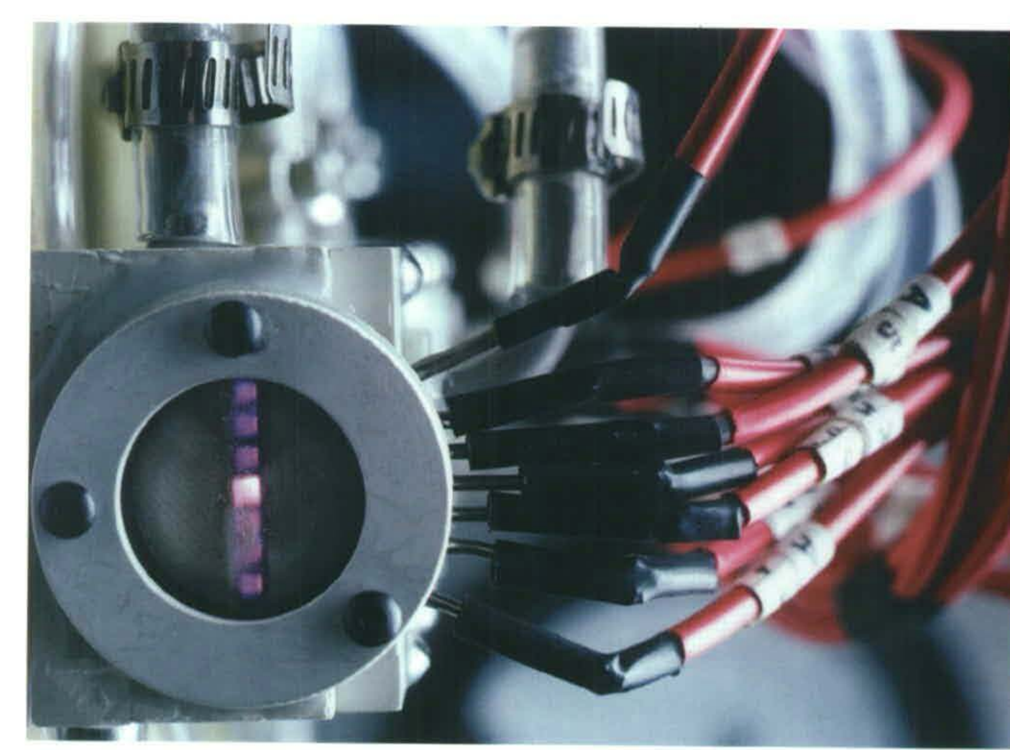
أما بالنسبة للآلات والتجهيزات فإنها يمكن أن تتعرض لإنفجار (كما هو الحال في المراجل البخارية)، أو عطب في مولدات الكهرباء أو محركات الديزل أو كسر في بعض أجزاء الآلة أو حدوث حريق فيها ، أو التسبب في عدم انتظام عملها . وقد يتعرض البناء أيضاً للحريق أو التصدع أو الانهيار .

أما بالنسبة للمواد الأولية والمنتجات فإن وجودها في مواقع العمل يعرضها إلى مجموعة من الأضرار إذا لم تتخذ تدابير السلامة المناسبة لها . ونذكر منها :

- التلوث ببعض المواد الكيميائية أو بالحشرات أو بفضلات القوارض أو بانسكاب بعض السوائل أو المواد الغريبة عليها .
- التلف والفساد نتيجة سوء تخزين تلك المواد وتعريضها لظروف غير ملائمة من الرطوبة والحرارة والبقاء مدة طويلة في المستودعات .
- تمزق الأغلفة من أكياس وعبوات ورقية أو كرتونية أو بلاستيكية أو حدوث تآكل أو تصدع في العبوات المعدنية أو كسر في العبوات الزجاجية .

حماية المراوح أو الدواليب المسننة، من أولويات السلامة الصناعية.





ينبغي مراعاة أصول السلامة في جميع التوصيلات الكهربائية على الجدران والأسقف والأرضيات وتجهيزها بقواطع فصل التيار .

- تعرض المواد الأولية أو المنتجات للحريق.

الإضرار بالمنطقة المحيطة :

قد يسبب المصنع الذي لا يتقيد بقواعد السلامة الضرر والأذى للمنطقة المحيطة به. ويظهر ذلك في أشكال متعددة نذكر منها :

- التلوث بالغازات والغبار الذي يصدر من آلات المصنع وتجهيزاته .
- الضجيج وحدوث أصوات مزعجة .
- تعريض المناطق المجاورة لخطر انتقال الحريق أو وصول آثار الإنفجار الذي قد يحدث في المصنع .
- بعض المخاطر الصناعية يكون ذا صفة مشتركة بين عدد من الصناعات أي له صفة عامة، بينما بعضها الآخر يختص بصناعة دون أخرى .

أولاً : المخاطر الصناعية المشتركة :

- حدوث الحرائق نتيجة خطأ في التوصيلات الكهربائية أو في التعامل مع المواد السريعة الإشتعال كالبنزين أو الغاز الطبيعي ، أو نتيجة إهمال من عامل لم يطفئ سيجارته قبل أن يلقيها ، وما ينجم عن ذلك من أضرار تصيب الممتلكات وتتلف المواد الأولية والمنتوجات وتصيب الأشخاص .

- مخاطر التيار الكهربائي : استخدام الكهرباء أمر شائع في كل الصناعات . ففي كل مصنع تجد تمديدات الكهرباء على الجدران والأسقف وفي أرضيات المصنع ، وأي إهمال فيها قد يكون سبباً لحدوث أضرار فادحة أو كوارث في بعض الأحيان .

فالعزل السيء للأسلاك أو عدم تجهيز قواطع التيار (Circuit Breakers) الملائمة لقطع الدائرة الكهربائية عند زيادة الحمل، من شأنه أن يعرض المنشأة إلى خطر جسيم . كما أن استخدام مفاتيح كهربائية من غير النوع المحمي من الإنفجار Explosion Proof، يشكل خطراً عندما تعمل في جو مشبع بالغازات وبأبخرة المواد القابلة للالتهاب مثل : البنزين أو الهيدروجين أو الأستلين أو الميثان ، وينجم عن ذلك حدوث إنفجارات وحرائق .

وهناك مشكلة لا يعيرها الكثيرون أهمية وهي استخدام التيار الكهربائي العادي أي ١١٠ فولت أو ٢٢٠ فولت خلال العمل داخل خزانات معدنية . فحدوث تماس كهربائي في هذه الظروف يكون في كثير من الأحيان مميتاً . ولهذا ينصح في هذه الحالة باستخدام تيار كهربائي بحدود ٢٤ فولت تلافياً لأي محذور .

- وجود الحفر غير المحمية أو الممرات العالية غير المسيجة : مثل هذا الوضع يجعل سقوط الأشخاص في الحفر أو من الممرات العالية أمراً كثير الاحتمال، وينجم عن هذا حدوث إصابات تتراوح بين الكدمات والكسور وقد تكون أحياناً مميتة .

- الآلات غير المحمية : هناك آلات سواء أكانت بشكل عجلات مسننة أم مراوح أم أحزمة متحركة، تشكل مصادر خطر ، إذا لم تكن محمية بشكل يحول دون حدوث تماس بين هذه الآلات وأجسام العاملين أو ثيابهم .

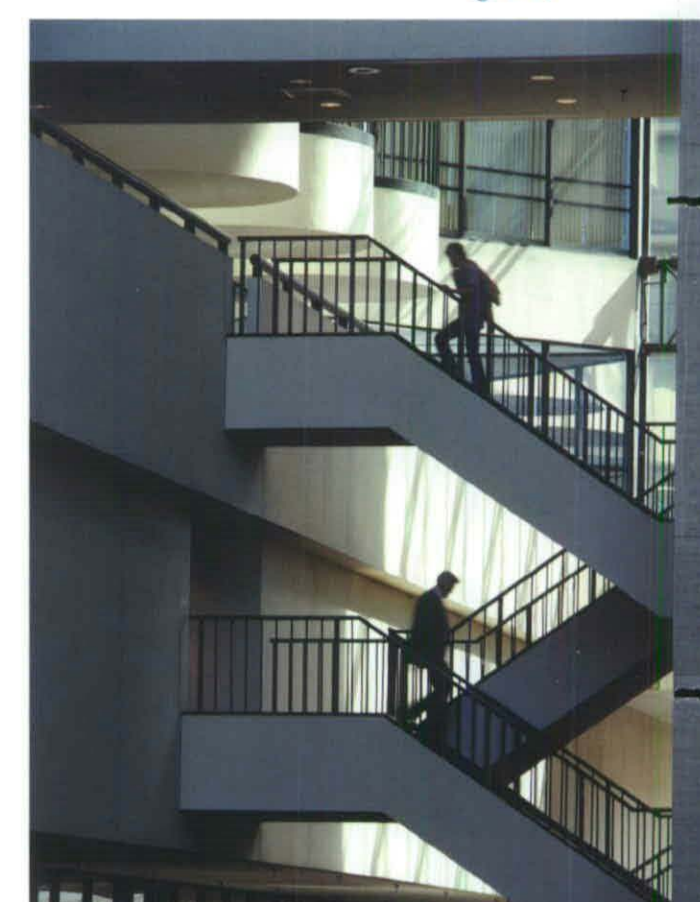
- عدم التلاؤم الطبيعي بين العامل والعمل: في بعض الصناعات يكون عدد من العمال مكلفين بأعمال متكررة وبشكل متواصل كأن تمر السلع أمامهم على ناقل متحرك ، فيقومون آلياً بأداء عمل معين ، كوضع لاصق أو إحكام سد وعاء أو تعديل موقع السلعة أو شد صامولة . فهذا العمل المتكرر المستمر الذي يؤديه العامل طيلة ساعات العمل من شأنه في أحيان كثيرة ، أن يؤثر في جملته العصبية ويسبب له حالة مرضية مزعجة .

كذلك فإن العمل في جو مشبع بالرطوبة أو شديد الحرارة من شأنه أن يحدث آثاراً صحية سيئة . أو حين يكون الجو مشحوناً بالغبار أو بدخان المحركات .

– أوضاع الأرضيات والسلالم : الأرضيات التي يسير عليها العمال تكون إما من الأسمنت الناعم أو الخشن أو صفائح الحديد أو مغطاة بالبلاط ، وفي جميع هذه الأحوال يجب أن تكون الأرضيات نظيفة وجافة وخالية من المسامير أو القطع المعدنية المتناثرة ، وليس فيها حفر مكشوفة ، أو ذات أغطية رخوة هشة .

ومن ناحية أخرى يجب إزالة أية مواد تنسكب على الأرضية فور حصولها ، خاصة السوائل التي تساعد على الإنزلاق والسقوط مثل الزيوت المعدنية أو محاليل الصابون وما شابهها .

أما بالنسبة للسلالم فيجب أن تكون محمية لتحول دون سقوط الأشخاص . كما أن درجات السلم يجب أن تكون مصممة بحيث تيسر الصعود والنزول دون مشقة ، وقياساتها منتظمة ولا يوجد بينها ما هو مكسور أو سريع العطب .



تسييج السلالم وانتظام قياساتها من أهم أسس السلامة، لمنع سقوط الأشخاص.

– تخزين اسطوانات الغاز القابل للاشتعال: وهذا يشمل غازات البوتان والأستلين والهيدروجين . فكثيراً ما يحدث تسرب من هذه الإسطوانات أثناء تخزينها ، فإذا كانت في مكان محصور وامتزج الغاز المتسرب مع الهواء فإنه يكون مصدراً للانفجار . لهذا يجب أن تخزن هذه الإسطوانات في غرفة مظللة ، يتجدد هواؤها من خلال مروحة شافطة وتكون التجهيزات الكهربائية داخلها من النوع الذي لا يولد شرارة .

ثانياً : مخاطر خاصة بكل صناعة ترتبط بموادها الأولية وظروف العمل فيها ونوعية منتجاتها :

– وجود مواد سامة ضمن المواد الأولية أو في قائمة المنتوجات لصناعة معينة ، يتطلب عناية خاصة في حفظها ونقلها وتفريغها . وكذا الأمر بالنسبة للمواد اللاذعة والكاوية والحارقة . وهذا ما نجده في مصانع إنتاج المبيدات الحشرية وبعض مصانع البتروكيمائيات وإنتاج الصودا الكاوية أو غاز الكلور .

– وجود مواد أولية أو منتجات مواد سريعة الاشتعال، وهنا يجب اتخاذ تدابير خاصة للحيلولة دون حدوث أي حريق. فمصانع تكرير النفط ينجم عنها منتوجات سريعة الاشتعال مثل غاز البوتان والنافتا والبنزين والكيروسين ، وهذه تتطلب تدابير خاصة للحيلولة دون حدوث اشتعال بسبب شرارة تؤدي إلى تفجير الجو البخاري المشبع بهذه المواد، بالإضافة إلى استخدام تجهيزات فعالة للعمل على إطفاء الحريق بأسرع ما يمكن.



طفاية الحريق من الضرورات التي يجب توفرها في كل مبنى ومصنع لمكافحة الحرائق بأسرع وقت ممكن.

وإذا كان لصناعة ما مخاطرها التي ترتبط بموادها الأولية ومنتجاتها ، فهناك أيضاً مخاطر خاصة بكل مصنع . ففي صناعة استخراج الزيوت من بذور القطن مثلاً ، لدينا مجموعة من المخاطر العامة التي ترتبط بعمليات تخزين البذور ونقلها وتحضيرها واستخراج الزيت منها وتكرير الزيت وتعبئته وتخزينه. فهناك مخاطر ترتبط بالمادة الأولية والمنتج النهائي وهي مشتركة بين المصانع، يضاف إلى ذلك مخاطر أخرى تختلف من مصنع إلى آخر ، تتعلق بالأسلوب التصنيعي المستخدم في كل مصنع وبطبيعة المنشآت المقامة فيه . ففي عملية نقل بذور القطن داخل المصنع يمكن أن يستخدم الحزام الناقل أو الناقل اللولبي ولكل منهما مخاطره الخاصة به . كما تختلف مخاطر قسم التكرير

في مصنع يستخدم طريقة الوعاء (المتقطعة) عنها في مصنع يستخدم طريقة الفصل بالنابذات (المستمرة) . كما أن الإنشاءات الهندسية المدنية والميكانيكية وتوزيع الآلات ومواقعها يختلف من مصنع لآخر ، الأمر الذي ينجم عنه اختلاف في ظروف العمل والمخاطر التي ترتبط به .

تدابير السلامة الصناعية :

إن طوارئ العمل التي تنجم عن إهمال تطبيق قواعد السلامة الصناعية كثيرة ، سواء كانت نتائجها منصبة على الأشخاص أو الآلات والمنشآت أو المواد الأولية أو المنتجات النهائية ، لأنها تترك آثاراً ضارة تظهر بشكل خسائر مادية تتمثل في الأعطال التي تحدث للآلات والتجهيزات ، أو التوقف عن الإنتاج ، وفي مصاريف الأدوية للأشخاص المصابين وحرمان المصنع من جهودهم لمدة قد تطول أو تقصر .

كما تترك طوارئ العمل أضراراً معنوية ونفسية تتمثل بما يتركه الحادث في نفوس الآخرين من خوف وجزع وتوتر خاصة حين تكون هناك حوادث وفاة . وتنعكس هذه الآثار على إنتاج العاملين ودقتهم في العمل .

ولهذا يكون من صالح المنشأة الصناعية تطبيق قواعد السلامة مهما كانت كلفتها لأنها على المدى المنظور ، أقل كلفة من الحوادث التي يحتمل وقوعها في حال عدم اتخاذ التدابير الوقائية اللازمة.

يجب مراعاة قواعد السلامة في تخزين وحفظ المواد الكيميائية والأولية.



وهناك اتجاهات عدة في مجال تطبيق السلامة الصناعية في المنشآت نذكر فيما يلي بعضها :

حماية الآلات ووسائل السلامة والوقاية:

ساد هذا الاتجاه في الولايات المتحدة خلال السنوات الثلاثين الأولى من القرن العشرين . ويتلخص في حماية النقاط الخطرة في المصنع ، بحيث لا يكون هناك تماس بينها وبين الأشخاص، وذلك إما بحراستها من قبل الأفراد أو إقامة سياج ميكانيكي واق حولها.

التوعية العامة للعاملين :

في الفترة من ١٩٣٠ – ١٩٥٠م اشتد التركيز على العامل الشخصي في عملية السلامة . فبالرغم من أن تدابير الحماية للآلات قللت من حدوث إصابات للأشخاص ، إلا أن معدل وقوع الحوادث ظل عالياً نسبياً ، وبدا واضحاً أن هناك حاجة إلى عامل آخر من عوامل السلامة ألا وهو التوعية للعاملين عن طريق الأفلام والملصقات والنشرات والدورات التدريبية .

تدريب العمال لمواجهة المخاطر الخاصة بالعمل:

يساعد التدريب الجماعي على زيادة الوعي بأهمية السلامة للمستخدمين ، ويعلمهم الشيء الكثير عن الأخطار الخاصة المرتبطة بعملهم المباشر وكيفية تفادي هذه المخاطر . وقد طبق خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، برنامج التدريب من خلال الصناعة Training within Industry وأدى إلى نتائج إيجابية في زيادة الوعي الفردي بالمخاطر .

فقبل تطبيق مبدأ التدريب الفردي أو الشخصي ، كان برنامج الوقاية من



قد يؤدي تفاعل المواد الكيميائية إلى نتائج خطيرة ما لم تتخذ تدابير وقائية مناسبة.

الحوادث يعتمد على مدير إدارة السلامة أو مهندس السلامة ، فهما المسؤولان عن إثارة الحماس والاهتمام بالسلامة لدى العاملين ، في حين يصبح رئيس القسم المسؤول عن الخط الإنتاجي مشاركاً في موضوع تدريب العمال ليؤدوا واجبات وظيفتهم بطريقة سليمة . وهذا يتطلب قيام رؤساء الأقسام بدراسة مختلف الأعمال التي تجري في أقسامهم وتحديد المخاطر المرتبطة بكل مهنة ، وهذا ما يدعى بـ (تحليل مخاطر المهنة Job-Hazard Analysis) ومن ثم يتم إعلام كل عامل بما يحيط عمله من مخاطر وكيف يمكنه تلافي وقوعها .

الخلاصة :

يمكن استعراض التدابير التي يجب اتباعها للحيلولة دون وقوع الحوادث على الشكل التالي:

- اتخاذ التدابير المناسبة لحماية الآلات والتجهيزات ميكانيكياً ، سواء في تصميم الآلة الأصلي، أو بشكل لاحق على ضوء ما يظهر من خلال التجربة العملية .

- إجراء التدريب والتوعية اللازمين لجميع العاملين في المنشأة عن الأخطار المشتركة ذات المفهوم الواسع (الحرائق أو مخاطر الشبكات الكهربائية – الخ) .

- تدريب كل عامل حسب موقعه لتجنب حدوث المخاطر الخاصة بعمله المباشر وبالآلات التي يشرف عليها .

- تعيين جهة مسؤولة عن موضوع السلامة الصناعية ، تقوم بدور التنسيق لوظائفها المختلفة، وتقدم المعلومات الفنية التي ينبغي على العاملين التقيد بها ، وتدابير السلامة التي يجب اتخاذها في الآلات والممتلكات .

ونظراً لأهمية السلامة الصناعية والحاجة الماسة إلى تطبيق قواعدها في كل المصانع صغيرة أم كبيرة، فإنني أرى أن يقوم المسؤولون عن المصانع باتخاذ ما يلي :

أولاً : إجراء مسح لمواطن الخطر الكامن في أجزاء المنشأة ، من قبل جهة ذات خبرة في هذا المجال ، وتطبيق كافة التوصيات التي تضعها فيما يتعلق بوضع الآلات والتجهيزات والمنشآت القائمة .

ثانياً : تعيين شخص أو أكثر، ليكون مسؤولاً عن برامج السلامة الصناعية في المنشأة . وأن يكون حاصلاً على درجة علمية في أحد فروع الهندسة المناسبة (ميكانك أو كيمياء أو كهرباء) ، وأن يمتلك خبرة عدة سنوات من العمل في الصناعة وسبق له أن حضر عدداً من الدورات التدريبية في مجال السلامة الصناعية . وأن يكون فطناً سريع البديهة هادئ الأعصاب، وعلى معرفة جيدة بطرق العمل المتبعة في المصنع الذي يعمل فيه ، ليصبح قدوة في مجال السلامة لباقي العاملين في المنشأة .

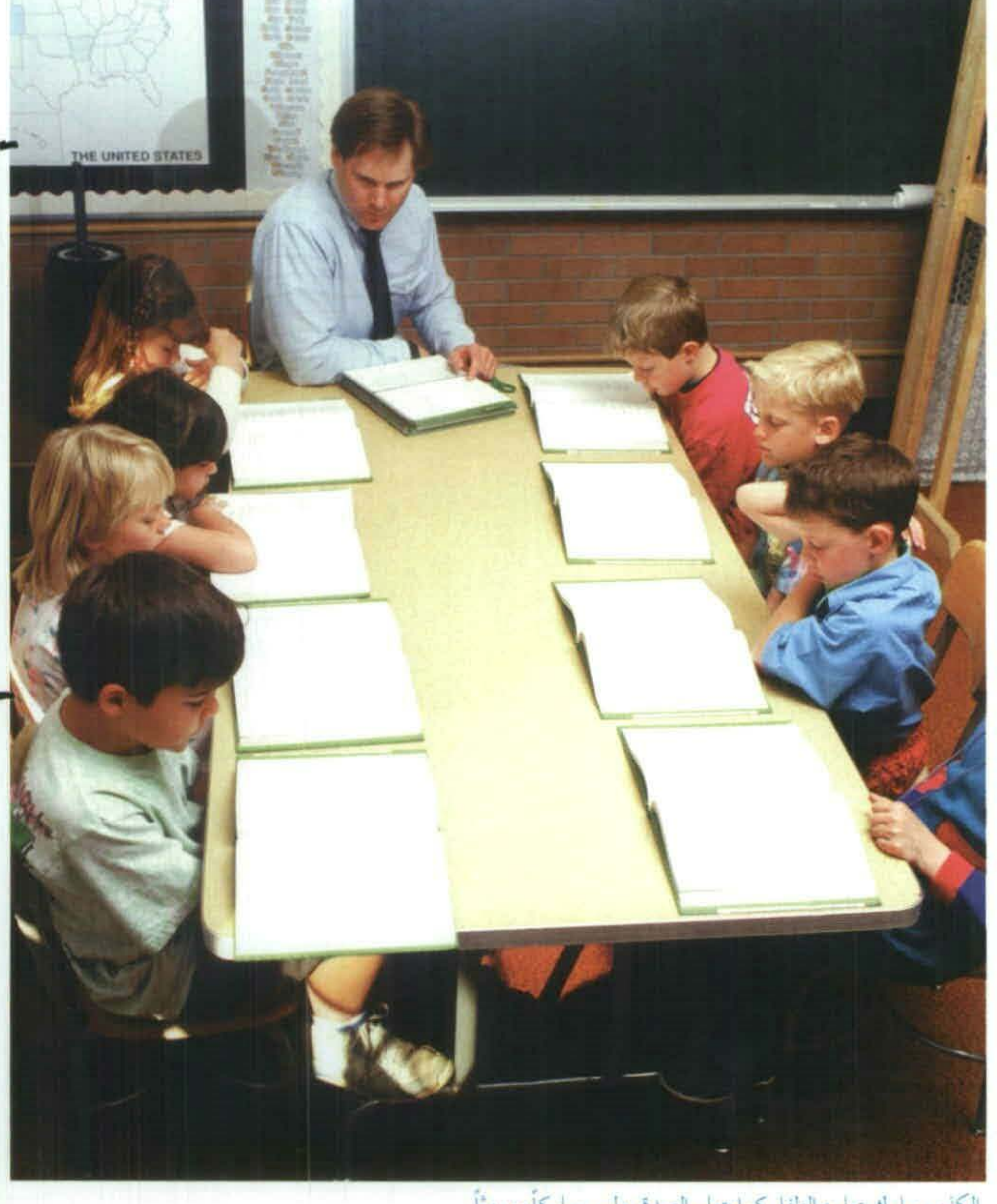
ثالثاً : تنظيم دورات تدريبية من قبل الجهات المتخصصة ذات مستويات مختلفة في مجال السلامة ، لرفع كفاءة مسؤولي هذه المهنة في المصانع وزيادة خبراتهم . ■

---

* صور المقال : مطابع التريكي

الكذب عند الأطفال

بقلم: وفيق صفوت مختار - مصر



الكذب سلوك يتعلمه الطفل كما يتعلم الصدق وليس سلوكاً موروثاً .

إذا نشأ الطفل في بيئة تقدر الحق وتلتزم الصدق ، وفي أسرة تطبق الأمانة والصدق بقدر دعوتها إليها ، يكون من الطبيعي في مثل هذه الظروف ، أن يلتزم الطفل حدود الصدق المرعية . أما إذا سمع الطفل أحد أبويه يتشكك في صدق الآخر ، أو إذا شاهد أمه تتخلص من واجباتها بادعاء المرض ، فليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن الطفل في مثل هذه الظروف سوف يعرف قيمة الصدق . وعلى ذلك فإن الكذب صفة أو سلوك يتعلمه الطفل كما يتعلم الصدق ، وليس صفة فطرية . أو سلوكاً موروثاً . والكذب عادة عرض ظاهري لدوافع وقوى نفسية تجيش في نفس الفرد سواء أكان طفلاً أو بالغاً .

أنواع الكذب :

الكذب الخيالي أو التلفيقي :

لا ينبغي أن يجزع الآباء من عجز أبنائهم عن التزام الدقة والصدق في سرد الوقائع، ذلك لأن الطفل يمر بفترة طويلة قبل أن يستطيع التفرقة بين الحقيقة والخيال . ففي مرحلة الطفولة المبكرة تزداد قوة خيال الطفل حيث يطغى خياله على الحقيقة . ويرى في القصص الخيالية واقعاً ، ويكون خياله خصباً فياضاً يملأ عن طريقه فجوات حديثه ، وننصح بالاهتمام بالقصص التربوية وعدم المبالغة في القصص الخيالية - رغم أهميتها في إثراء خيال الطفل وخصوبة تفكيره - حتى لا يؤدي ذلك إلى تشويه الحقائق المحيطة به.

وكثيراً ما يلجأ الطفل في سبيل المفاخرة بقيمته الذاتية إلى المبالغة في بعض المواقف التي قام بدور فيها، وكثيراً ما يكون للأقاصيص التي ينسجها أساس واهٍ من الواقع ، بيد أنها كثيراً ما تكون أيضاً أموراً



يمر الطفل بفترة طويلة قبل أن يستطيع التفرقة بين الحقيقة والخيال .

لفقها الطفل حتى لا يتجاهل الناس أمره تجاهلاً مطلقاً . ويغلب أن يصدر هذا النوع من التلفيقات من البنت أو الولد الذي تضيق به الحيلة . ولكنه رغم ذلك يتوق إلى تحقيق شيء يستحق الذكر والتنويه ، هكذا ينتقل أولئك الأطفال على أجنحة الخيال، فمن حياة مفعمة بالخيبة إلى حياة مليئة بالنشوة والنجاح ، فليست مثل هذه الأخيلة في الواقع كذباً بل هي أوهام أو رغبات لم تتحقق .

ويقوم علاج عادة التلفيق هذه على توجيه انتباه الأطفال إلى الأمانة فيما يقومون به ، فمثل أولئك الأطفال في حاجة إلى جانب كبير من التشجيع والتوجيه ، فينبغي أن توجه جهودهم نحو القيام بالأمور التي تقع في نطاق قدرتهم حتى تكلل جهودهم بالنجاح .

أما التلفيقات والأوهام التي ليس لها أساس من الواقع ، والتي لا تؤدي إلى غاية نافعة – أي تلك التي تدعى بأحلام اليقظة – فليس من اللازم أو من المرغوب فيه دفع الطفل إلى التسليم بأن أحلامه تلك ليس لها ظل من الحقيقة . فهذه الأحلام ليس فيها ما يهدد سلامة الطفل العقلية إلاّ إذا أصبحت غاية في حد ذاتها ، وأدت بالطفل بعيداً عن حقائق الحياة واستغرقت منه كوامن نفسه . ومن ثم لا ينبغي أن نضيق ذرعاً بتوهمات الأطفال ، فكثيراً ما يكون في حياة الصغير معنى خاص ، فإذا لم يتحمل الآباء الإنصات إلى ما يبدو لهم أمراً تافهاً يصدر عن طفل ، فإن الفرصة لن تسنح لهم بالوقوف على ما يعرض لحياته من مشكلات جدية خطيرة مستقبلاً . ومهمة الآباء تتطلب منهم أن يقدموا العون لأبنائهم كي يتعرفوا على الحقيقة ويدركوا قيمتها .

الكـذب الالتباسي :

وهذا النوع من الكذب لا يدل على انحراف سلوكي أو مرضي لدى الطفل ، بل يحدث نتيجة لتداخل الخيال مع الواقع لديه بحيث لا يستطيع أن يفرق بينهما ، فقد يستمع إلى قصة خيالية أو واقعية تثير مشاعره، وبعد أيام يتقمص أحداث القصة في نفسه أو في غيره . والطفل في حالة الكذب الالتباسي يلجأ إلى الكذب دون قصد ، فذاكرته تعجز عن فهم حادثة معينة بتفاصيلها، فيضطر دون أن يدري إلى أن يحرف بعض الأحداث ويضيف أخرى من نسج خياله حتى تبدو مستساغة لعقله الصغير ومنطقه المحدود .

الكذب الادعـائي :

هذا النوع من الكذب يلجأ إليه بعض الأطفال، الذين يعانون الشعور بالنقص

لتغطيته بالمبالغة ، وذلك بهدف الحصول على مركز مرموق وسط الجماعة . فالطفل الذي لا يمتلك لعباً كغيره من الأطفال يدعي أنه يمتلك منها الكثير ، وقد يصل به الأمر إلى أن يتخيل شكلها وحجمها وطريقة تشغيلها للتباهي أمام أقرانه .

وهذا النوع من الكذب شائع بين أغلب الأطفال ، ولا ضرر منه فهو لا يؤذي أحداً . ولكن على الآباء أن يحاولوا علاج مثل هذه الحالة بشيء من توضيح الحقائق ، ومحاولة إشباع الحاجات النفسية للأطفال ، مع ضرورة توفير احتياجاتهم من اللعب والأدوات .

وقد يلجأ الطفل إلى الكذب الادعائي لاستدرار العطف عن طريق التمارض وهذا يحدث عند الأطفال الذين لم ينالوا درجة مناسبة من الحب والرعاية من الوالدين في طفولتهم .

وقد يلجأ الأطفال إلى هذا الكذب فيتهمون الغير باضطهادهم أو التنكيل بهم ، فعندما يعود الطفل من مدرسته يدعي في حضور والديه أن المعلم قد أوسعه ضرباً ، أو منع عنه مكافأة كان يستحقها . ويعود السبب في ذلك أن الطفل يحاول استدرار عطف والديه ، أو قد يحاول أن يجد لنفسه مبرراً لفشله أو لعجزه الدراسي حتى يمنع لوم وتقريع الأسرة له .

وهذا النوع من الكذب يجب الإسراع إلى علاجه ، لأن أي إهمال أو تقاعس سيجعل من الطفل مبالغاً ومختلقاً للمبررات الواهية والأقاويل الزائفة مما يؤثر سلباً على صحته النفسية ومكانته الاجتماعية .



يجب أن يشعر الطفل بأنه يعيش في بيئة مرنة ومتسامحة .

الكذب بغرض الاستحواذ :

يعامل بعض الأطفال معاملة قاسية يشوبها النبذ والإهمال فتنعكس هذه المعاملة عليهم ، فالأطفال الذين يعانون من رقابة الوالدين الشديدة ومحاولة التحقق من كل عبارة يذكرونها ويضيقون عليهم، كثيراً ما يلجأون إلى نوع آخر من الكذب بغرض الاستحواز على الأشياء وعلى العواطف أيضاً. إن الطفل عندما يفقد الثقة في بيئته يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء وهو يكذب في سبيل تحقيق ذلك .

ولحل هذه المعضلة توجه إلى الآباء نصيحة مفادها أن يوفروا لأبنائهم جواً من الثقة والاطمئنان، وأن تكون البيئة الأسرية التي يعيشون فيها مصدر فخرهم وثقتهم ، والابتعاد عن النبذ والإهمال والرقابة الشديدة الصارمة ، وعدم التدخل المباشر في حياة الأطفال في كل أمورهم الكبير منها والصغير إلا بالقدر الضروري والمعقول .

الكذب الانتقامي :

قد يكذب الطفل لإسقاط اللوم على أطفال الآخرين ، والكذب الانتقامي يرتبط بضعف الأنا العليا Super Ego التي يقوم بوظيفة الرقابة على السلوك . ويعد هذا النوع من أخطر أنواع الكذب على الصحة النفسية للطفل ، لأنه كذب ينم عن كراهية وحقد . وفي هذا الكذب يفكر الطفل كثيراً قبل أن يقدم على هذه الخطوة ، بل يتدبر مسبقاً حبكته الانتقامية هذه بقصد إلحاق الضرر بمن يكرهه، ويكون هذا السلوك مصحوباً – في أغلب الأحوال – بالتوتر والقهر والإحساس بالألم .

وينتشر هذا النوع من الكذب بين أطفال المدرسة الابتدائية نتيجة للغيرة أو الحقد . فيحدث أن يشكو الطفل قرينه لأنه قد أتلف كتابه ، فيهم المعلم بعقاب الطفل المشكو منه، فيجد الطفل الشاكي في ذلك راحة وسعادة، وهذا الكذب يجد له رواجاً ومتنفساً إذا وجد الطفل من المعلم استجابة لشكايته وميلاً من جانب المعلم إلى العقاب دون

التحقق . من هنا يتحتم على الآباء والمعلمين أن يقابلوا مثل هذه الشكاوى والاتهامات بالحذر الشديد والتحقق الدقيق . كذلك يجب عليهم أن يهتموا بهؤلاء الصغار الذين يندفعون إلى اقتراف هذا الكذب الانتقامي، ويُقوّمون حتى يتخلصوا منه لأن الاعتياد على مثل هذا النوع من الكذب يؤدي إلى اعتلال صحتهم النفسية .

الكذب الدفاعي أو الوقائي :

يؤدي العقاب إذا كان مطرداً قاسياً لايتناسب وما يتطلبه الموقف إلى اتخاذ الكذب وسيلة للوقاية ، وكثيراً لا يحقق العقاب الغرض المنشود، فالأطفال يندفعون إلى استخدام الكذب كسلاح غريزي وقايةً لأنفسهم من أساليب العقاب وخاصة إذا كان القصاص جائراً لاعدل فيه.

كما يلجأ الطفل في الأسر التي تتناقض فيها وسائل التربية – كأن يكون الأب شديد القسوة وتكون الأم شديدة الحنو – إلى الكذب كي يفلت من عقاب ينتظره ، فيلصق الاتهام بآخر قد يكون أخيه أو صديقه ، حتى ينال العقاب عوضاً عنه .

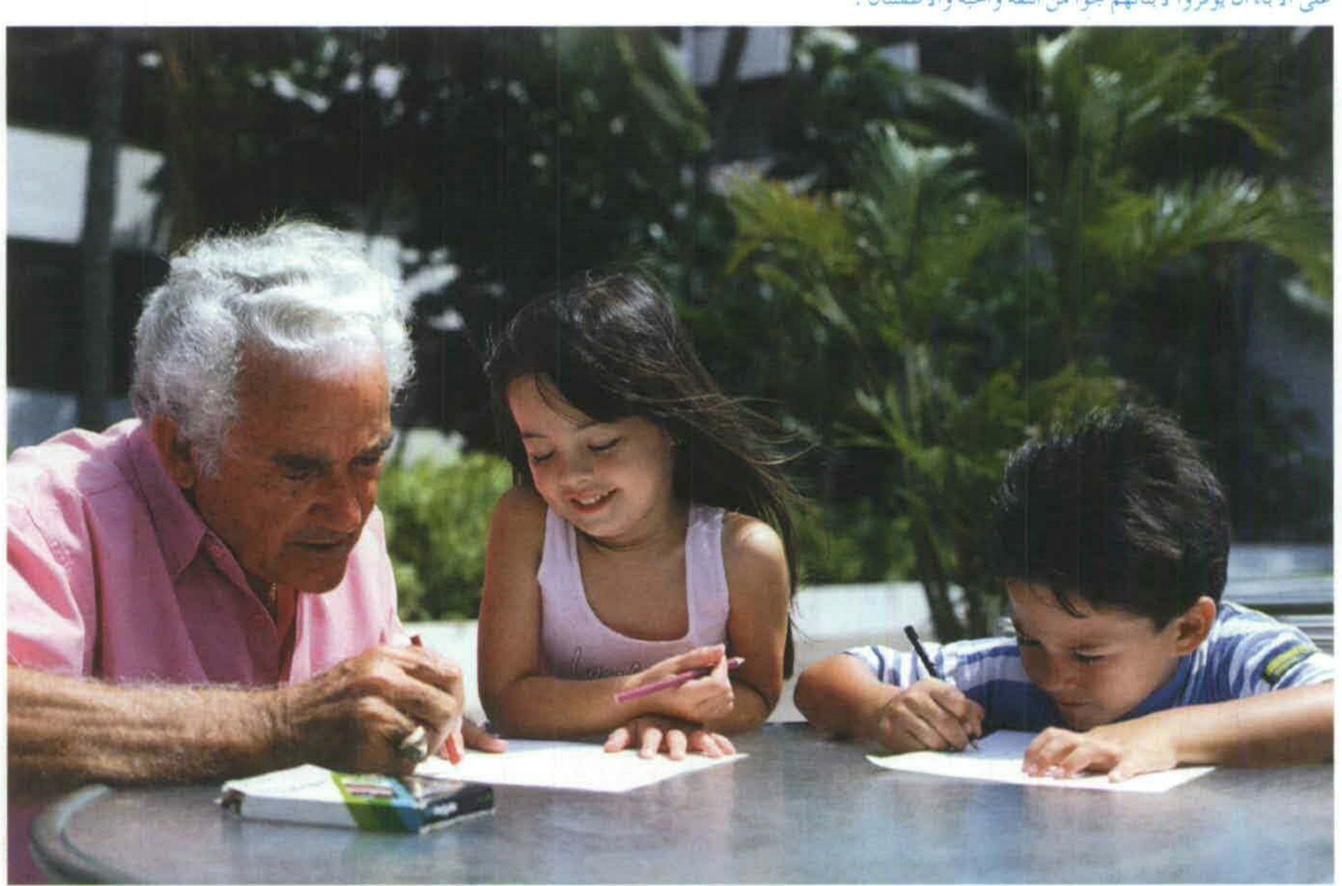
والكذب الدفاعي أو الوقائي هو أكثر الأنواع شيوعاً بين الأطفال . وقد يدمن الأطفال هذا النوع من الكذب وبالأخص عندما تعتريهم نوبات القلق والتوتر .

ونؤكد أنه كلما ازداد الخوف من العقاب، كلما ازداد نزوع الأطفال إلى الكذب الدفاعي ، لذلك فالأجدر بالآباء ورجال التعليم الذين يلجأون إلى عقاب الأطفال بالوسائل المؤلمة (كالصفع أو الركل أو الضرب) بأن يتجنبوا ذلك ويكفوا عن تلك الوسائل حتى لا يدفعوا هؤلاء الصغار إلى مثل هذا النوع من الكذب .

وإذا كان الكذب الانتقامي يرتبط بالتوتر والألم ، فإن الكذب الدفاعي يرتبط غالباً بالخوف والقلق ويصاحبه أيضاً عادة الغش والتمويه والخداع والتخطيط المسبق والتدبير المُحكم حتى يبدو هذا الكذب مقنعاً بلا افتعال أو ارتجال .

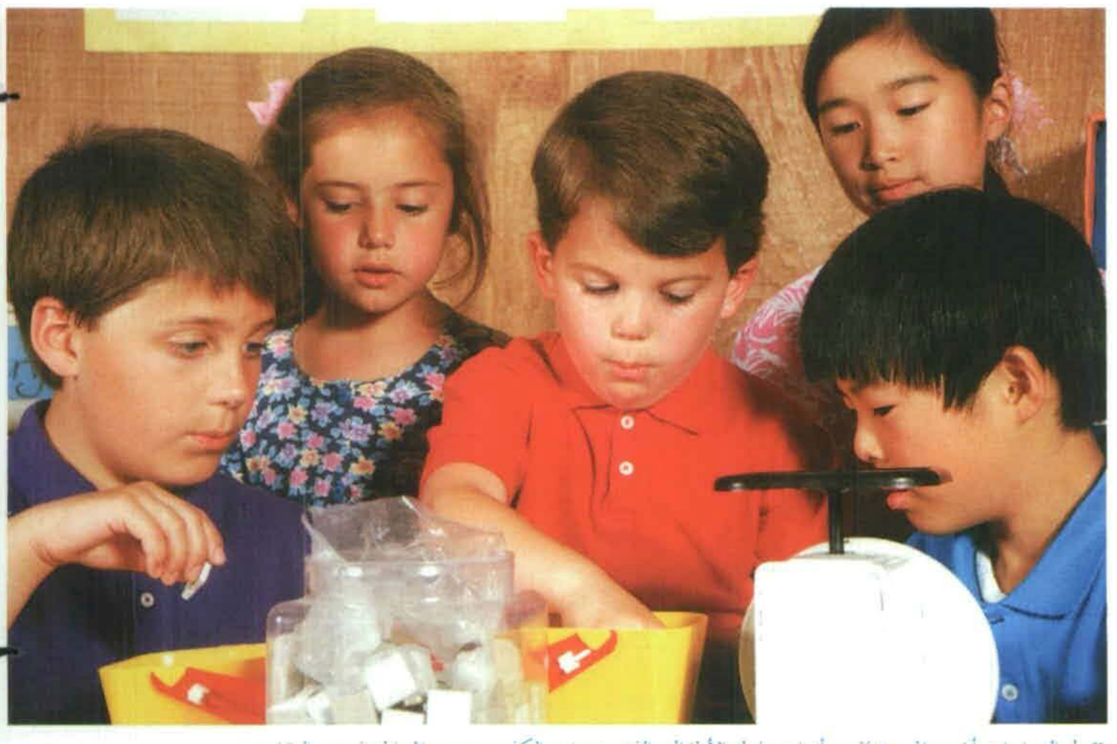
وقد أجمعت الدراسات على أن حوالي ٧٠٪ من أنواع السلوك لدى الأطفال الذي يتصف بالكذب يرجع إلى الخوف من العقاب وعدم استحسان البالغين أوقبولهم لسلوكهم ، وأن ١٠٪ منها يرجع إلى ميل الأطفال لأحلام اليقظة والخيال والالتباس ، وأن ٢٠٪ منها يرجع إلى أغراض الغش والخداع والكراهية .

على الآباء أن يوفروا لأبنائهم جواً من الثقة والمحبة والاطمئنان .



الكذب الأناني :

وهو نوع من أنواع الكذب ، يلجأ إليه الطفل ليحقق منفعة لنفسه ، أو ليمنع منفعة لأخيه أو صديقه . ويرتبط هذا النوع من الكذب بدرجة النمو الخلقي لدى الطفل ، ونوع النموذج أو القدوة التي كانت متاحة أمامه ممثلة في الوالدين . ويكذب الطفل لأنه لم يقوّم منذ البداية على أن يحب للآخرين ما يحب لنفسه ، وأن النفع الذي يعود عليه إنما يرتبط أشد الارتباط بنفع الآخرين أيضاً ، وأن الحياة التي نعيشها تعتمد على محورين هامين هما : الأخذ والعطاء .



تقول الدراسات أن حوالي ٧٠٪ من أنواع سلوك الأطفال، الذي يتصف بالكذب، يرجع إلى الخوف من العقاب .

أما إذا كذب الطفل ليمنع منفعة للآخرين فهو الكذب الذي يهدد أمنه وصحته النفسية، لأن الأنانية ترتبط بالكراهية وبالعداء تجاه الآخرين ، فالطفل يكذب ليسقط عن أخيه أو صديقه صفة الامتياز أوالتفوق ، ثم يدعيها لنفسه طمعاً في تقدير أو ثناء أو إثابة ، وهو ما يجب أن يتنبه إليه الآباء والمعلمون لتوضيح مثل هذه الأمور للأطفال حتى يقلعوا عن هذا الكذب بلاعنف أو إكراهٍ ، مع الاهتمام بتوفير الجو الأسري الصالح .

الكذب لمقاومة القسوة والسلطة :

كثيراً ما يكذب الأطفال لأنهم يعانون من قسوة الوالدين أو المدرسة ، والكذب سلاح يستخدمه الأطفال لمجرد الإحساس الممتع نتيجة التغلب على مقاومة السلطة الصارمة ، إنه إحساس بالانتصار رغم كل القيود .

فالطفل بدلاً من أن يذهب إلى المدرسة يسير في الطرقات العامة ، ويرتاد الحدائق والمتنزهات ، وعند اقتراب نهاية اليوم الدراسي يهم عائداً إلى المنزل مدعياً أنه قضى في المدرسة يوماً شاقاً ومرهقاً !!

ويبدو الطفل في مثل هذه الحالات من الكذب رقيقاً كالملاك ، يستسلم (ظاهرياً) لأوامر ونواهي سلطة الوالدين ، فهو يحاول أن ينفذ أمام أعينهم كل ما يطلبانه ويأمرانه ، ولكن حينما يتحرر من هذه السلطة يفعل ما يحلو له محاولاً استنشاق عبير الحرية المسلوب.

لذلك يلزم التنويه بضرورة التخفيف - قدر المستطاع - من حدّة القيود والسلطة الأبوية والمدرسية الصارمة ، وأن يطّلع الطفل مسبقاً على قواعد ومعايير السلوك المرجوة بلا قسر أو عنف ، وإذا طُلب منه أداء سلوك معين أو تنفيذ واجب محدد لا يكون بالأوامر والنواهي الصارمة بل بالإقناع بعد توضيح الأمور بصدق دون استخفاف ، فينفذ الطفل كل ما يُطلب منه لا عن خوف ورهبة بل عن اقتناع وحب .

كيف نقي أطفالنا من الكذب ؟

- يجب توضيح الأسس التي تقوم عليها العلاقات بين الأفراد بحيث يدرك الطفل الحدود الصحيحة للحقوق والواجبات حتى لا يلجأ إلى الكذب الذي يحاول فيه - بحسن نية - أن يساعد الآخرين .
- التسامح مع الأطفال في بعض المواقف، مع شرح أخطائهم وإعطائهم الفرصة لتصحيح ما يقعون فيه من أخطاء غير مرغوب فيها .
- ألا يسمح للطفل بأن يفلت بكذبه ، بل يجب أن نعلمه أننا أدركنا سلوكه ،



يجب أن نساعد الطفل على أن يعيش في بيئة تشبع حاجاته المادية والمعنوية.

ونعطيه الفرصة لتجنب الكذب مرة أخرى، حتى لا يتدعم سلوك الكذب لديه كوسيلة لتحقيق رغباته ، أو للتخلص من المآزق التي قد يقع فيها .

• عدم اللجوء إلى العقاب الشديد لأن الخوف من العقاب من أهم الدوافع التي تجعل الطفل يلجأ إلى الكذب ، وأن يكون العقاب – إذا حدث – عقاباً معتدلاً يتناسب مع نوع الخطأ ، وأن يعرف الطفل الأسباب التي أدت إلى اتخاذ القرار بعقابه .

• لابد من استخدام الأسلوب العلمي في حل المشكلة ، وذلك بالبحث أولاً عن أسبابها ودوافعها ، ووضع العلاج المناسب لكل حالة على حدةٍ ، فعلاج الكذب الدفاعي يختلف بطبيعة الحال عن علاج الكذب الانتقامي ، مع مراعاة أن كل طفل حالة قائمة بذاتها ، فأسلوب العلاج الذي قد ينجح مع طفل قد لاينجح مع طفل آخر.

• لابد أن نعي ونتيقن أنه لا فائدة تُرجى من محاولة علاج الكذب بالعقاب أو الزجر أو التهديد ، لأن هذه الأساليب لن تردع الطفل عن الإتيان بالكذب بل قد تتسبب في ظهور أعراض سلبية أخرى ، فالعقاب يزيد من تعقيد المشكلة بدلاً من انفراجها وإمكانية حلها .

• يجب أن نساعد الطفل على أن يعيش في بيئة توفر له استجابات طيبة، بمعنى أن نشبع حاجاته النفسية الملحة والضرورية من حب وحنان وأمن وتقبل لأن ذلك يساعده على الصدق والصراحة والوضوح .

• الطفل يقلد من حوله ويتقمص سلوك الكبار منهم ، ولذلك فعلى الآباء والمعلمين أن يدركوا أنهم القدوة والمثل الأعلى والنموذج ، فالآباء الذين يدفعون أبناءهم إلى الكذب إنما يدفعونهم إلى تقليد ومحاكاة سلوكهم .

• يجب أن يشعر الطفل بأنه يعيش في بيئة مرنة ومتسامحة ، فنعوده دائماً على المحبة والتسامح ، وأن نحول دون تنمية الاتجاهات السلوكية التي تدعم لديه غرائز الكراهية والحقد والانتقام .

• تجنيب الطفل المواقف التي تشجعه على الكذب وتضطره للدفاع عن نفسه . فإذا اعترف الطفل بأنه كذب لا نعاقبه البتة ، لأن العقاب يشجعه على الكذب ولا يشعره بالأمن والطمأنينة نحونا ، بل يجب أن نبصره بأهمية الصدق ومغبة الكذب .

• يجب على الآباء أن يكونوا أوفياء إذا قطعوا عهداً أو وعداً مع أطفالهم لأن الأطفال قد يصابون بصدمة إذا خالف الآباء وعودهم ، ومن ثم فسوف يتحلل الأطفال من الالتزام بالصدق . ■

المراجع :

١ – جرترود دريسكول : « كيف نفهم سلوك الطفل » . ترجمة : د. رشدي فام ، مراجعة : محمد السيد روحه . دار النهضة العربية ، القاهرة : ١٩٦٤م .

٢ – روث سترانج : « مساعدة الأطفال على حل مشاكلهم » . ترجمة : صلاح الدين لطفي . إشراف : د. عبدالعزيز القوصي . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة : (ب. ت.) .

٣ – د. دجلاس توم : « مشكلات الأطفال اليومية» . ترجمة : د. اسحق رمزي . دار المعارف بمصر ، القاهرة : ١٩٤٥م.

٤ – د. ملاك جرجس : « للأطفال مشاكل نفسية » كتاب أخبار اليوم الطبي . القاهرة : ١٩٨٤م .

* صور المقال : مطابع التريكي



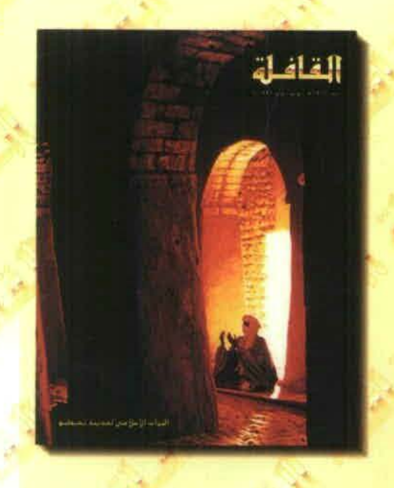
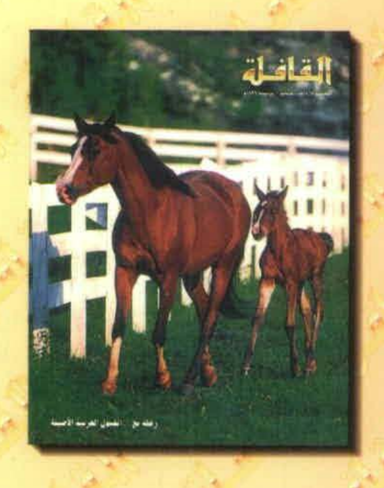
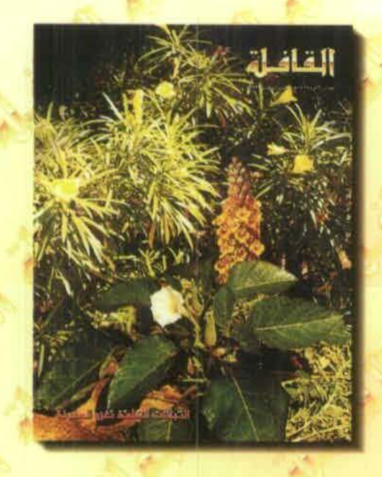
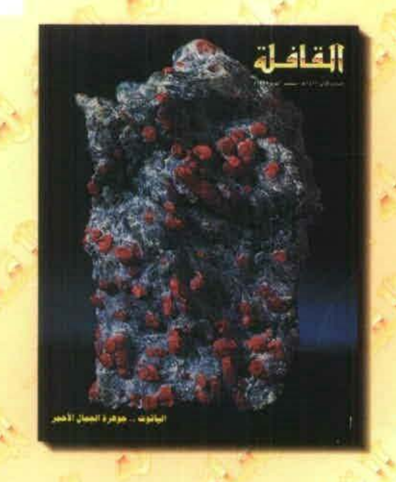
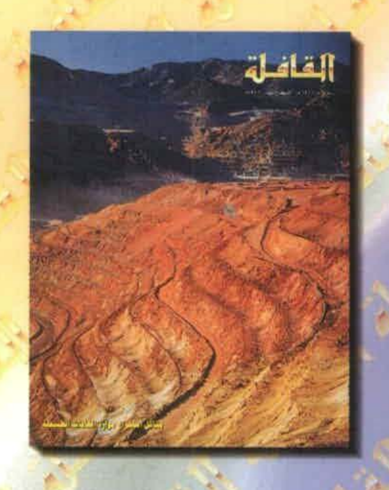
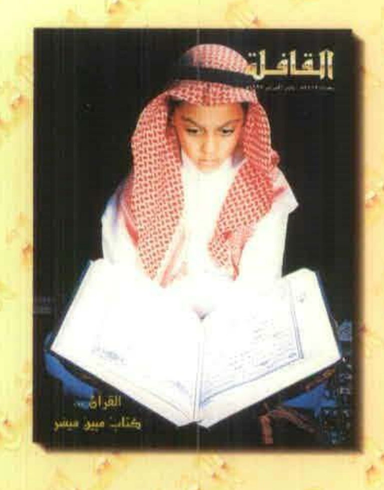
د. بهجت الحديثي – العراق

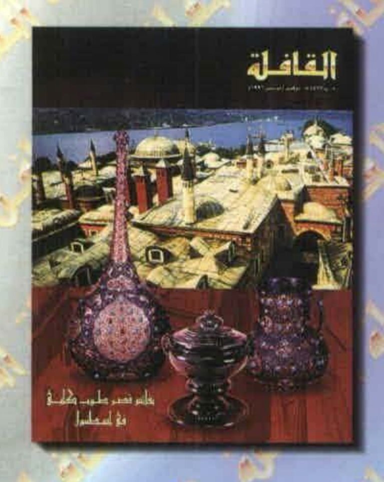
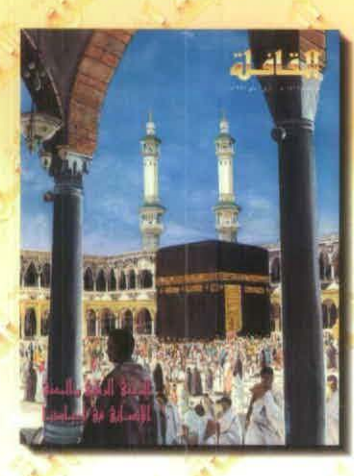
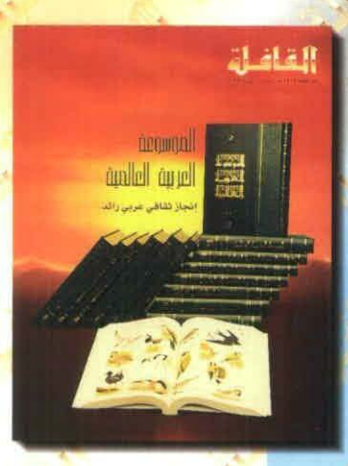
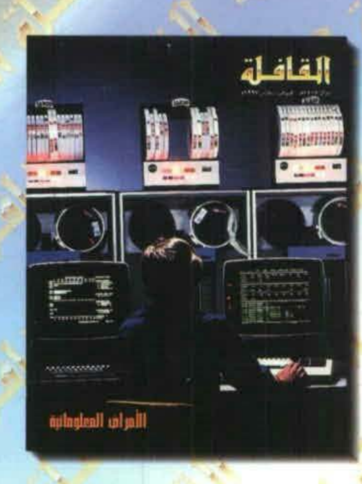
كثرت الأخطاء الشائعة في التعبير الحديث ، فيقال : قدم فلان دراسة حول الموضوع ، وأبدى رأياً سديداً حول القضية ، وله تصور واضح حول المسألة .. ألخ . ولو رجعنا إلى المصادر العربية ، لرأينا أن معنى كلمة « حول » يختلف اختلافاً بيّناً عما هي عليه في الاستعمال الحديث ، ففي العين : الحول : سنة بأسرها .. والحول : الحيلة ، والحول : اسم يجمع الحوالي . تقول : « حوالي الدار » . وفي مقاييس اللغة : « الحاء والواو واللام » أصل واحد ، وهو تحرك في دور ، فالحول : هو العام ، وذلك أنه يحول : أي يدور ، وفيه : حال الشخص يحول : إذا تحرك . وكذلك كل متحرك عن حالة . ومنه قولهم: استحلت الشخص : أي نظرت هل يتحرك ، وفيه أيضاً : الحيلة والحويل والمحاولة من طريق واحد، وهو القياس الذي ذكرناه ، لأنه يدور حوالي الشيء ليدركه . وفي أساس البلاغة : « وقعدوا حوله وحوليه ... » ، وفي مختار الصحاح : « حال الشيء بيني وبينه، أي: حجز ، فالحول هو الحجز . وحِوَلاً « بكسر الحاء وفتح الواو » أي: تحول ، يقال : « قعد حوله وحواله .. أي بإزائه » .

يتضح من هذه النصوص وغيرها كثير أن « الحول » لفظ ذو دلالات متفرعة عن أصل عام وهو : «تحرك في دور» على ما جاء في مقاييس اللغة . ومن الاستعمال الصحيح أن يقال مثلاً : قعدوا حوله: أي بإزائه، على ما جاء في مختار الصحاح ، وعلى ذلك صح في أفصح الكلام أن يقال ، مثلاً: السياج حول الدار والسور حول المدينة والأبناء حول أبيهم .. ألخ. وكل ذلك لا يحمل دلالة على القرب من الشيء أو ما يشير إلى سبر أغواره والغوص في أعماقه البعيدة . قال تعالى : « وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا » (الأنعام/٩٢) . وقال تعالى : « فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا » (مريم /٦٨) . وقال تعالى: « فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » (البقرة /١٧) .

ولهذا كله ، فإن المعنى الصحيح لكلمة « حول » لا يتحقق في التعبير الحديث على نحو ما ذكرنا من أمثلة. ويرى الدكتور محمد ضاري حمادي : أنه لابد أن نستبدل بهذه الكلمة كلمة أخرى كالحرف « في » على سبيل المثال ، وعندها يقال : دراسة عميقة في الموضوع « لا حوله » وأبدى رأياً سديداً في هذه القضية ، وله تصور واضح في هذه المسألة» . ■


الرياض
تجربة متميزة في تطور المدن


القافلة

القافلة

القافلة

القافلة

القافلة
الياقوت .. جوهرة الجبال الأحمر

القافلة

القافلة

القافلة

القافلة

القافلة

القافلة
الموسوعة
العربية العالمية
انجاز ثقافي عربي رائد

القافلة
الأمراض المعلوماتية